تفسير سورة « المؤمنون »

هى مكية بلا خلاف . قال القرطبى : كلها مكية فى قول الجميع ، وآياتها مائة وتسع عشرة آية . وقد أخرج أحمد ومسلم وأبو داود والترمذى وابن ماجة وغيرهم عن عبد الله بن السائب قال : صلى النبى ﷺ بمكة الصبح فاستفتح سورة المؤمنين ، حتى إذا جاء ذكر موسى وهارون، أو ذكر عيسى أخذته سعلة فركع [١] . وأخرج البيهقى من حديث أنس عن النبى ﷺ أنه قال : « لما خلق الله الجنة قال لها : تكلمى ، فقالت : قد أفلح المؤمنون » [٢] . وأخرجه أيضاً ابن عدى والحاكم [٣] . وأخرج الطبرانى فى السنة وابن مردويه من حديث ابن عباس مثله [٤] . وقد ورد فى فضائل العشر الآيات من أول هذه السورة ما سيأتى قريباً .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ **قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (١) الَّذِينَ هُمْ فِى صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ (٢) وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ (٣) وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ (٤) وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (٥) إِلاَّ عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (٦) فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ (٧) وَالَّذِينَ هُمْ لأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ (٨) وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (٩) أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ (١٠) الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (١١)** ﴾ .

قوله : ﴿ **قد أفلح المؤمنون** ﴾ قال الفراء : « قد » ها هنا يجوز أن تكون تأكيداً لفلاح المؤمنين ، ويجوز أن تكون تقريباً للماضى من الحال ؛ لأن قد تقرّب الماضى من الحال حتى تلحقه بحكمه ، ألا تراهم يقولون : قد قامت الصلاة قبل حال قيامها ، ويكون المعنى فى الآية : وأن الفلاح قد حصل لهم وأنهم عليه فى الحال . والفلاح : الظفر بالمراد ، والنجاة من المكروه . وقيل : البقاء فى الخير ، وأفلح إذا دخل فى الفلاح ، ويقال : أفلحه : إذا آصاره إلى الفلاح ، وقد تقدّم بيان معنى الفلاح فى أوّل البقرة . وقرأ طلحة بن مصرف : « قد أفلح » بضم الهمزة وبناء الفعل للمفعول . وروى عنه أنه قرأ : « أفلحوا المؤمنون » على الإبهام والتفسير ، أو على لغة أكلونى البراغيث .

---

(١) أحمد ٤ / ٤١١ ومسلم فى الصلاة (٤٥٥/ ١٦٣) وأبو داود فى الصلاة (٦٤٩) وابن ماجة فى إقامة الصلاة (٨٢٠) وليس الحديث فى الترمذى .

(٢) عزاه ابن كثير ٥ / ٧ لابن أبى الدنيا .

(٣) صححه الحاكم ٢ / ٣٩٢ وقال الذهبى : « ضعيف » .

(٤) قال ابن كثير ٥ / ٦ : « رواه أبو القاسم الطبرانى عن بقية ، وهو ضعيف » .

ثم وصف هؤلاء المؤمنين بقوله : ﴿ **الذين هم فى صلاتهم خاشعون** ﴾ وما عطف عليه . والخشوع منهم من جعله من أفعال القلوب كالخوف والرهبة ، ومنهم من جعله من أفعال الجوارح كالسكون وترك الالتفات والعبث ، وهو فى اللغة السكون والتواضع والخوف والتذلل ، وقد اختلف الناس فى الخشوع هل هو من فرائض الصلاة أو من فضائلها ؟ على قولين : قيل : الصحيح الأول ، وقيل : الثانى . وادّعى عبد الواحد بن زيد إجماع العلماء على أنه ليس للعبد إلا ما عقل من صلاته ، حكاه النيسابورى فى تفسيره . قال : ومما يدل على صحة هذا القول قوله تعالى : ﴿ أفلا يتدبرون القرآن ﴾ [محمد : ٢٤] . والتدبر لا يتصوّر بدون الوقوف على المعنى ، وكذا قوله : ﴿ أقم الصلاة لذكرى ﴾ [طه:١٤] . والغفلة تضادّ الذكر ، ولهذا قال : ﴿ ولا تكن من الغافلين ﴾ [الأعراف : ٢٠٥] . وقوله : ﴿ حتى تعلموا ما تقولون ﴾ [النساء :٤٣] نهى للسكران والمستغرق فى هموم الدنيا بمنزلته . واللغو ، قال الزجاج : هو كل باطل ولهو وهزل ومعصية وما لا يجمل من القول والفعل ، وقد تقدّم تفسيره فى البقرة . قال الضحاك : إن اللغو هنا الشرك ، وقال الحسن : إنه المعاصى كلها . ومعنى إعراضهم عنه : تجنبهم له وعدم التفاتهم إليه ، وظاهره اتصافهم بصفة الإعراض عن اللغو فى كل الأوقات ، فيدخل وقت الصلاة فى ذلك دخولا أوّلياً كما تفيده الجملة الاسمية ، وبناء الحكم على الضمير . ومعنى فعلهم للزكاة : تأديتهم لها ، فعبر عن التأدية بالفعل لأنها مما يصدق عليه الفعل ، والمراد بالزكاة هنا . المصدر ؛ لأنه الصادر عن الفاعل ، وقيل : يجوز أن يراد بها العين على تقدير مضاف ، أى والذين هم لتأدية الزكاة فاعلون .

﴿ **والذين هم لفروجهم حافظون** ﴾ : الفرج يطلق على فرج الرجل والمرأة ، ومعنى حفظهم لها أنهم ممسكون لها بالعفاف عما لا يحلّ لهم . وقيل : المراد هنا : الرجال خاصة دون النساء، بدليل قوله : ﴿ **إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم** ﴾ للإجماع على أنه لا يحلّ للمرأة أن يطأها من تملكه . قال الفراء : إن « على » فى قوله : ﴿ **إلا على أزواجهم** ﴾ بمعنى «من » . وقال الزجاج : المعنى : أنهم يلامون فى إطلاق ما حظر عليهم فأمروا بحفظه إلا على أزواجهم ودلّ على المحذوف ذكر اللوم فى آخر الآية . والجملة فى محل نصب على الحال. وقيل : إن الاستثناء من نفى الإرسال المفهوم من الحفظ ، أى لا يرسلونها على أحد إلا على أزواجهم . وقيل : المعنى : إلا والين على أزواجهم وقوّامين عليهم ومن قولهم : كان فلان على فلانة فمات عنها فخلف عليها فلان . والمعنى : أنهم لفروجهم حافظون فى جميع الأحوال إلا فى حال تزوّجهم أو تسرّيهم، وجملة ﴿ **أو ما ملكت أيمانهم** ﴾ فى محل جرّ عطفاً على أزواجهم، و« ما » مصدرية . والمراد بذلك : الإماء . وعبر عنهن بـ « ما » التى لغير العقلاء ؛ ولأنه اجتمع فيهنّ الأنوثة المنبئة عن قصور العقل وجواز البيع والشراء فيهنّ كسائر السلع ، فأجراهن بهذين الأمرين مجرى غير العقلاء ، وجملة : ﴿ **فإنهم غير ملومين** ﴾ تعليل لما تقدّم مما لا يجب عليهم حفظ فروجهم منه .

﴿ **فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون** ﴾ الإشارة إلى الزوجات وملك اليمين . ومعنى العادون : المجاوزون إلى ما لا يحل لهم ، فسمى سبحانه من نكح ما لا يحلّ عادياً . ووراء هنا بمعنى : سوى ، وهو مفعول ابتغى . قال الزجاج : أى فمن ابتغى ما بعد ذلك فمفعول الابتغاء محذوف . و ﴿ **وراء** ﴾ ظرف . وقد دلت هذه الآية على تحريم نكاح المتعة ، واستدل بها بعض أهل العلم على تحريم الاستمناء لأنه من الوراء لما ذكر ، وقد جمعنا فى ذلك رسالة سميناها «بلوغ المنى فى حكم الاستمناء » ، وذكرنا فيها أدلة المنع والجواز وترجيح الراجح منهما .

﴿ **والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون** ﴾ قرأ الجمهور : ﴿ **لأماناتهم** ﴾ بالجمع . وقرأ ابن كثير بالإفراد . والأمانة : ما يؤتمنون عليه . والعهد : ما يعاهدون عليه من جهة الله سبحانه أو جهة عباده ، وقد جمع العهد والأمانة كل ما يتحمله الإنسان من أمر الدين والدنيا ، والأمانة أعمّ من العهد ، فكل عهد أمانة ، ومعنى ﴿ **راعون** ﴾ : حافظون . ﴿ **والذين هم على صلواتهم يحافظون** ﴾ قرأ الجمهور : ﴿ **صلواتهم** ﴾ بالجمع . وقرأ حمزة والكسائى : «صلاتهم» بالإفراد، ومن قرأ بالإفراد فقد أراد اسم الجنس وهو فى معنى الجمع . والمحافظة على الصلاة إقامتها والمحافظة عليها فى أوقاتها وإتمام ركوعها وسجودها وقراءتها والمشروع من أذكارها .

ثم مدح سبحانه هؤلاء فقال : ﴿ **أولئك هم الوارثون** ﴾ أى الأحقاء بأن يسموا بهذا الاسم دون غيرهم . ثم بين الموروث بقوله : ﴿ **الذين يرثون الفردوس** ﴾ وهو أوسط الجنة ، كما صح تفسيره بذلك عن رسول الله ﷺ . والمعنى : أن من عمل بما ذكر فى هذه الآيات فهو الوارث الذى يرث من الجنة ذلك المكان ، وفيه استعارة لاستحقاقهم الفردوس بأعمالهم . وقيل: المعنى: أنهم يرثون من الكفار منازلهم حيث فرقوها على أنفسهم ؛ لأنه سبحانه خلق لكل إنسان منزلا فى الجنة ومنزلا فى النار . ولفظ الفردوس لغة رومية معرّبة . وقيل : فارسية. وقيل : حبشية . وقيل : عربية ، وجملة : ﴿ **هم فيها خالدون** ﴾ فى محل نصب على الحال المقدّرة ، أو مستأنفة لا محل لها ، ومعنى الخلود : أنهم يدومون فيها لا يخرجون منها ولا يموتون فيها ، وتأنيث الضمير مع أنه راجع إلى الفردوس لأنه بمعنى الجنة .

وقد أخرج عبد الرازق وأحمد وعبد بن حميد والترمذى والنسائى وابن المنذر والعقيلى ، والحاكم وصححه ، والبيهقى فى الدلائل ، والضياء فى المختارة عن عمر بن الخطاب قال : كان إذا أنزل على رسول الله ﷺ الوحى يسمع عند وجهه كدوىّ النحل ، فأنزل الله عليه يوماً فمكثنا ساعة ، فسرّى عنه فاستقبل القبلة فقال : « اللهم زدنا ولا تنقصنا ، وأكرمنا ولا تهنا ، وأعطنا ولا تحرمنا ، وآثرنا ولا تؤثر علينا ، وارضنا وارض عنا » ، ثم قال : « لقد أنزل علىّ عشر آيات من أقامهنّ دخل الجنة » ، ثم قرأ : ﴿ **قد أفلح المؤمنون** ﴾ حتى ختم العشر (١) .

(١) عبد الرزاق (٦٠٣٨) وأحمد ١/ ٣٤ والترمذى فى التفسير (٣١٧٣) والنسائى فى الكبرى فى الوتر (١٤٣٩) وقال : « هذا حديث منكر » وصححه الحاكم ٢ / ٣٩٢ ، وقال الذهبى : « سئل عبد الرزاق عن شيخه ذا فقال : أظنه لا شىء » .

obeikandi.com

وفى إسناده يونس بن سليم الصنعانى [١] . قال النسائى : لا نعرف أحداً رواه عن ابن شهاب إلا يونس بن سليم ويونس لا نعرفه. وأخرج البخارى فى الأدب المفرد، والنسائى وابن المنذر، والحاكم وصححه ، وابن مردويه ، والبيهقى فى الدلائل عن يزيد بن بابنوس قال : قلنا لعائشة : كيف كان خلق رسول الله ﷺ ؟ قالت: كان خلقه القرآن، ثم قالت: تقرأ سورة المؤمنين ؟ اقرأ : ﴿ **قد أفلح المؤمنون** ﴾ حتى بلغ العشر ، فقالت : هكذا كان خلق رسول الله ﷺ [٢] .

وأخرج سعيد بن منصور وابن جرير ، والبيهقى فى سننه عن محمد بن سيرين قال : نبئت أن رسول الله ﷺ كان إذا صلى رفع بصره إلى السماء ، فنزلت : ﴿ **الذين هم فى صلاتهم خاشعون** ﴾ [٣] . وأخرجه عبد الرزاق عنه[٤] ، وزاد : فأمره بالخشوع فرمى ببصره نحو مسجده. وأخرجه عنه أيضاً عبد بن حميد، وأبو داود فى المراسيل ، وابن المنذر وابن أبى حاتم، والبيهقى فى السنن بلفظ : كان إذا قام فى الصلاة نظر هكذا وهكذا ، يميناً وشمالاً، فنزلت : ﴿ **الذين هم فى صلاتهم خاشعون** ﴾ فحنى رأسه [٥] . وروى عنه من طرق مرسلا هكذا . وأخرجه الحاكم وصححه ، وابن مردويه ، والبيهقى فى سننه عن أبى هريرة ؛ أن النبى ﷺ كان إذا صلى رفع بصره إلى السماء فنزلت : ﴿ **الذين هم فى صلاتهم خاشعون** ﴾ فطأطأ رأسه [٦] . وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم عن ابن سيرين بلفظ : كان أصحاب رسول الله ﷺ يرفعون رؤوسهم وأبصارهم إلى السماء فى الصلاة يلتفتون يميناً وشمالاً ، فأنزل الله ﴿ **قد أفلح المؤمنون . الذين هم فى صلاتهم خاشعون**﴾ فمالوا برؤوسهم فلم يرفعوا أبصارهم بعد ذلك فى الصلاة ، ولم يلتفتوا يميناً وشمالاً [٧] . وأخرج ابن المبارك فى الزهد ، وعبد الرزاق والفريابى وعبد بن حميد وابن جرير وابن أبى حاتم وابن المنذر ، والحاكم وصححه، والبيهقى فى سننه عن علىّ ؛ أنه سئل عن قوله : ﴿**الذين هم فى صلاتهم خاشعون** ﴾ قال : الخشوع فى القلب ، وأن تلين كتفك للمرء المسلم ، وألا تلتفت فى صلاتك. وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم عن ابن عباس فى قوله: ﴿ **الذين هم فى صلاتهم خاشعون** ﴾ قال : خائفون ساكنون . وقد ورد فى مشروعية الخشوع فى الصلاة والنهى عن الالتفات وعن رفع البصر إلى السماء أحاديث معروفة فى كتب الحديث .

---

(١) فى المخطوطة : « يونس بن سليم الإيلى » والتصحيح من تهذيب التهذيب ١١/ ٤٣٩ ، ٤٤٠ .
(٢) النسائى فى التفسير (٣٧٠) وصححه الحاكم ٢ / ٣٩٢ ووافقه الذهبى .
(٣) ابن جرير ١٨ / ٣ والبيهقى ٢ / ٢٨٣ .
(٤) عبد الرزاق (٣٢٦١) .
(٥) أبو داود فى المراسيل (٤٥) والبيهقى ٢ / ٢٨٣ .
(٦) صححه الحاكم ٢ / ٣٩٣ على شرط الشيخين وقال : « لولا خلاف فيه على محمد . فقد قيل عنه مرسل » وقال الذهبى : « الصحيح مرسل » والبيهقى ٢ / ٢٨٣ .
(٧) ابن جرير ١٨ / ٣ .

وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم عن ابن عباس فى قوله : ﴿ **والذين هم عن اللغو معرضون** ﴾ قال : الباطل . وأخرج عبد الرزاق ، وأبو داود فى ناسخه عن القاسم بن محمد ؛ أنه سئل عن المتعة فقال : إنى لأرى تحريمها فى القرآن ، ثم تلا : ﴿ **والذين هم لفروجهم حافظون . إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم** ﴾ . وأخرج عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبى حاتم وأبو الشيخ والطبرانى عن ابن مسعود أنه قيل له : إن الله يكثر ذكر الصلاة فى القرآن : ﴿ الذين هم على صلاتهم دائمون ﴾ [المعارج: ٢٣] ﴿ **والذين هم على صلواتهم يحافظون** ﴾ قال : ذلك على مواقيتها ، قالوا : ما كنا نرى ذلك إلا على تركها ، قال : تركها كفر .

وأخرج عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير ، والحاكم وصححه عن أبى هريرة فى قوله: ﴿ **أولئك هم الوارثون** ﴾ قال: يرثون مساكنهم ومساكن إخوانهم التى أعدت لهم لو أطاعوا الله. وأخرج سعيد بن منصور وابن ماجة وابن المنذر وابن أبى حاتم وابن مردويه ، والبيهقى فى البعث عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « ما منكم من أحد إلا وله منزلان : منزل فى الجنة، ومنزل فى النار، فإذا مات فدخل النار ورث أهل الجنة منزله ، فذلك قوله : ﴿ **أولئك هم الوارثون** ﴾ »(١) . وأخرج عبد بن حميد ، والترمذى وقال : حسن صحيح غريب عن أنس ، فذكر قصة، وفيها: أن النبى ﷺ قال: « الفردوس ربوة الجنة، وأوسطها وأفضلها »(٢) ، ويدّل على هذه الوراثة المذكورة هنا قوله تعالى : ﴿ تلك الجنة التى نورث من عبادنا من كان تقيا ﴾ [مريم : ٦٣] وقوله : ﴿ تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون ﴾ [الأعراف : ٤٣] ويشهد لحديث أبى هريرة هذا ما فى صحيح مسلم عن أبى موسى عن النبى ﷺ قال: « يجىء يوم القيامة ناس من المسلمين بذنوب أمثال الجبال ، فيغفرها الله لهم ، ويضعها على اليهود والنصارى »(٣) . وفى لفظ له : قال رسول الله ﷺ : « إذا كان يوم القيامة دفع الله إلى كل مسلم يهودياً أو نصرانيا ، فيقول هذا فكاكك من النار »(٤) .

﴿ **وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ (١٢) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ (١٣) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ (١٤) ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ (١٥) ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ (١٦) وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ (١٧) وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِى الأَرْضِ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ (١٨) فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِ جَنَّاتٍ مِّن نَّخِيلٍ**

---

(١) ابن ماجة فى الزهد (٤٣٤١) وابن جرير ١٨ / ٥ .

(٢) الترمذى فى التفسير (٣١٧٤) .

(٣) مسلم فى التوبة (٢٧٦٧ / ٥١) .

(٤) مسلم فى التوبة (٢٧٦٧ / ٤٩) .

وَأَعْنَابٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ (١٩) وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَاءَ تَنبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْآكِلِينَ (٢٠) وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ (٢١) وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ (٢٢) ﴾.

لما حثّ سبحانه عباده على العبادة ووعدهم الفردوس على فعلها ، عاد إلى تقرير المبدأ والمعاد ليتمكن ذلك فى نفوس المكلفين فقال : ﴿ **ولقد خلقنا الإنسان** ﴾ إلى آخره ، واللام جواب قسم محذوف ، والجملة مبتدأة ، وقيل : معطوفة على ما قبلها ، والمراد بالإنسان : الجنس ؛ لأنهم مخلوقون فى ضمن خلق أبيهم آدم ، وقيل : المراد به آدم . والسلالة فعالة من السلّ ، وهو استخراج الشيء من الشيء ، يقال : سللت الشعرة من العجين ، والسيف من الغمد فانسلّ ، فالنطفة سلالة ، والولد سليل ، وسلالة أيضاً ، ومنه قول الشاعر :

فجاءت به عضب الأديم غضنفرا سلالة فرج كان غير حصين

وقول الآخر :

وهل هند إلا مهرة عربية سلالة أفراس تجللها بغل

و « من » فى : ﴿ **من سلالة** ﴾ ابتدائية متعلقة بـ ﴿ **خلقنا** ﴾ وفى : ﴿ **من طين** ﴾ بيانية متعلقة بمحذوف ، وقع صفة لسلالة ، أى كائنة من طين ، والمعنى : أنه سبحانه خلق جوهر الإنسان أوّلا من طين ؛ لأن الأصل آدم ، وهو من طين خالص وأولاده من طين ومنىّ ، وقيل: السلالة : الطين إذا عصرته انسل من بين أصابعه فالذى يخرج مضاف إن أريد بالإنسان آدم ﴿**نطفة** ﴾ وقد تقدم تفسير النطفة فى سورة الحج . وكذلك تفسير العلقة والمضغة . والمراد بالقرار المكين : الرّحم . وعبر عنها بالقرار الذى هو مصدر مبالغة ، ومعنى ﴿ **ثم خلقنا النطفة علقة** ﴾ أى أنه سبحانه أحال النطفة البيضاء علقة حمراء ﴿ **فخلقنا العلقة مضغة** ﴾ أى قطعة لحم غير مخلقة ﴿ **فخلقنا المضغة عظاما** ﴾ أى جعلها الله سبحانه متصلبة لتكون عمودًا للبدن على أشكال مخصوصة ﴿ **فكسونا العظام لحما** ﴾ أى أنبتَ الله سبحانه على كل عظم لحمًا على مقدار الذى يليق به ويناسبه ﴿ **ثم أنشأناه خلقا آخر** ﴾ أى نفخنا فيه الروح بعد أن كان جمادًا. وقيل: أخرجناه إلى الدنيا . وقيل : هو نبات الشعر . وقيل : خروج الأسنان . وقيل : تكميل القوى المخلوقة فيه ، ولا مانع من إرادة الجميع ، والمجيء بـ « ثم » لكمال التفاوت بين الخلقين ﴿**فتبارك الله أحسن الخالقين** ﴾ أى استحق التعظيم والثناء . وقيل : مأخوذ من البركة ، أى كثر خيره وبركته . والخلق فى اللغة : التقدير ، يقال : خلقت الأديم : إذا قسته لتقطع منه شيئًا، فمعنى ﴿ **أحسن الخالقين** ﴾ : أتقن الصانعين المقدّرين ، ومنه قول الشاعر :

ولأنت تفرى ما خلقت وبـ ـعض القوم يخلق ثم لا يفرى

﴿ **ثم إنكم بعد ذلك لميتون** ﴾ الإشارة بقوله : ﴿ **ذلك** ﴾ إلى الأمور المتقدّمة ، أى ثم إنكم بعد تلك الأمور لميتون صائرون إلى الموت لا محالة ﴿ **ثم إنكم يوم القيامة تبعثون** ﴾ من قبوركم إلى المحشر للحساب والعقاب . واللام فى ﴿ **ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق** ﴾ جواب لقسم محذوف ، والجملة مبتدأة مشتملة على بيان خلق ما يحتاجون إليه بعد بيان خلقهم . والطرائق هى : السموات . قال الخليل والفراء والزجاج : سميت طرائق ؛ لأنه طورق بعضها فوق بعض كمطارقة النعل. قال أبو عبيدة : طارقت الشىء جعلت بعضه فوق بعض ، والعرب تسمى كل شىء فوق شىء طريقة . وقيل : لأنها طرائق الملائكة . وقيل : لأنها طرائق الكواكب ﴿ **وما كنا عن الخلق غافلين** ﴾ المراد بالخلق هنا : المخلوق ، أى وما كنا عن هذه السبع الطرائق وحفظها عن أن تقع على الأرض بغافلين. وقال أكثر المفسرين : المراد الخلق كلهم بغافلين بل حفظنا السموات عن أن تسقط ، وحفظنا من فى الأرض أن تسقط السماء عليهم فتهلكهم أو تميد بهم الأرض ، أو يهلكون بسبب من الأسباب المستأصلة لهم ، ويجوز أن يراد نفى الغفلة عن القيام بمصالحهم وما يعيشون به ، ونفى الغفلة عن حفظهم .

﴿ **وأنزلنا من السماء ماء** ﴾ هذا من جملة ما امتن الله سبحانه به على خلقه. والمراد بالماء: ماء المطر ، فإن به حياة الأرض وما فيها من الحيوان ، ومن جملة ذلك ماء الأنهار النازلة من السماء والعيون ، والآبار المستخرجة من الأرض ، فإن أصلها من ماء السماء . وقيل : أراد سبحانه فى هذه الآية الأنهار الأربعة : سيحان ، وجيحان ، والفرات ، والنيل ، ولا وجه لهذا التخصيص . وقيل: المراد به : الماء العذب ، ولا وجه لذلك أيضًا فليس فى الأرض ماء إلا وهو من السماء ، ومعنى ﴿ **بقدر** ﴾ : بتقدير منا أو بمقدار يكون به صلاح الزرع والثمار ، فإنه لو كثر لكان به هلاك ذلك ، ومثله قوله سبحانه : ﴿ وإن من شىء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم ﴾ [الحجر:٢١] ومعنى ﴿ **فأسكناه فى الأرض** ﴾ : جعلناه مستقراً فيها ينتفعون به وقت حاجتهم إليه كالماء الذى يبقى فى المستنقعات والغدران ونحوها ﴿ **وإنا على ذهاب به لقادرون** ﴾ أى كما قدرنا على إنزاله فنحن قادرون على أن نذهب به بوجه من الوجوه ، ولهذا التنكير حسن موقع لا يخفى ، وفى هذا تهديد شديد لما يدلّ عليه من قدرته سبحانه على إذهابه وتغويره حتى يهلك الناس بالعطش وتهلك مواشيهم ، ومثله قوله : ﴿ قل أرأيتم إن أصبح ماؤكم غورا فمن يأتيكم بماء معين ﴾ [الملك:٣٠] .

ثم بين سبحانه ما يتسبب عن إنزال الماء فقال : ﴿ **فأنشأنا لكم به جنات من نخيل وأعناب**﴾ أى أوجدنا بذلك الماء جنات من النوعين المذكورين ﴿ **لكم فيها** ﴾ أى فى هذه الجنات ﴿ **فواكه كثيرة** ﴾ . تتفكهون بها وتتطعمون منها وقيل : المعنى : ومن هذه الجنات وجوه أرزاقكم ومعاشكم كقوله : فلان يأكل من حرفة كذا ، وهو بعيد ، واقتصر سبحانه على النخيل والأعناب ؛ لأنها الموجودة بالطائف والمدينة وما يتصل بذلك . كذا قال ابن جرير . وقيل : لأنها أشرف الأشجار ثمرة وأطيبها منفعة وطعماً ولذة . قيل : المعنى بقوله: ﴿ **لكم فيها فواكه**﴾

أن لكم فى هذه الجنات فواكه من غير العنب والنخيل . وقيل : المعنى : لكم فى هذين النوعين خاصة فواكه ؛ لأن فيهما أنواعاً مختلفة متفاوتة فى الطعم واللون . وقد اختلف أهل الفقه فى لفظ الفاكهة على ماذا يطلق ؟ اختلافاً كثيرا ، وأحسن ما قيل : إنها تطلق على الثمرات التى يأكلها الناس ، وليست بقوت لهم ولا طعام ولا إدام . واختلف فى البقول هل تدخل فى الفاكهة أم لا ؟

وانتصاب ﴿ **شجرة** ﴾ على العطف على ﴿ **جنات** ﴾ . وأجاز الفراء الرفع على تقدير : وثم شجرة فتكون مرتفعة على الابتداء ، وخبرها محذوف مقدّر قبلها ، وهو الظرف المذكور . قال الواحدى : المفسرون كلهم يقولون : إن المراد بهذه الشجرة : شجرة الزيتون ، وخصت بالذكر ؛ لأنه لا يتعاهدها أحد بالسقى ، وهى التى يخرج الدهن منها ، فذكرها الله سبحانه امتناناً منه على عباده بها ؛ ولأنها أكرم الشجر وأعمها نفعاً وأكثرها بركة ، ثم وصف سبحانه هذه الشجرة بأنها ﴿ **تخرج من طور سيناء** ﴾ هو جبل ببيت المقدس ، والطور : الجبل فى كلام العرب . وقيل : وهو مما عرّب من كلام العجم. واختلف فى معنى سيناء فقيل : هو الحسن . وقيل : هو المبارك ، وذهب الجمهور إلى أنه اسم للجبل كما تقول : جبل أحد . وقيل : سيناء حجر بعينه أضيف الجبل إليه لوجوده عنده. وقيل : هو كلّ جبل يحمل الثمار . وقرأ الكوفيون: ﴿**سيناء**﴾ بفتح السين ، وقرأ الباقون بكسر السين ، ولم يصرف لأنه جعل اسماً للبقعة ، وزعم الأخفش أنه أعجمى . وقرأ الجمهور : ﴿ **تنبت بالدهن** ﴾ بفتح المثناة وضمّ الباء الموحدة ، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بضمّ المثناة وكسر الباء الموحدة . والمعنى على القراءة الأولى: أنها تنبت فى نفسها متلبسة بالدهن ، وعلى القراءة الثانية : الباء بمعنى مع ، فهى للمصاحبة والمعنى على القراءة الأولى : أنها تنبت فى نفسها متلبسة بالدهن ، وعلى القراءة الثانية : الباء بمعنى مع ، فهى للمصاحبة . قال أبو علىّ الفارسى : التقدير : تنبت جناها ومعه الدهن . وقيل : الباء زائدة ، قاله أبو عبيدة ، ومثله قول الشاعر :

هنّ الحرائر لا ربات أحمرة سود المحاجر لا يقرأن بالسور

وقال آخر :

نضرب بالسيف ونرجو بالفرج

وقال الفراء والزجاج : إن نبت وأنبت بمعنى ، والأصمعى ينكر أنبت ، ويرد عليه قول زهير :

رأيت ذوى الحاجات حول بيوتهم قطينا لهم حتى إذا أنبت البقل

أى نبت . وقرأ الزهرى والحسن والأعرج : « تنبت » بضم المثناة وفتح الموحدة . قال الزجاج وابن جنى : أى تنبت ومعها الدهن ، وقرأ ابن مسعود : « تخرج بالدهن »، وقرأ زر بن حبيش: « تنبت الدهن » بحذف حرف الجرّ . وقرأ سليمان بن عبد الملك والأشهب: « بالدهان »

﴿ **وصبغ للآكلين** ﴾ معطوف على الدهن ، أى تنبت بالشيء الجامع بين كونه دهناً يدهن به . وكونه صبغًا يؤتدم به . قرأ الجمهور : ﴿ **صبغ** ﴾ ، وقرأ قوم « صباغ » مثل لبس ولباس . وكل إدام يؤتدم به فهو صبغ وصباغ . وأصل الصبغ : ما يلون به الثوب ، وشبه الإدام به ؛ لأن الخبز يكون بالإدام كالمصبوغ به .

﴿ **وإن لكم فى الأنعام لعبرة** ﴾ هذه من جملة النعم التى امتنّ الله بها عليهم . وقد تقدّم تفسير الأنعام فى سورة النحل . قال النيسابورى فى تفسيره : ولعلّ القصد بالأنعام هنا إلى الإبل خاصة ؛ لأنها هى المحمول عليها فى العادة ؛ ولأنه قرنها بالفلك وهى سفائن البرّ ، كما أن الفلك سفائن البحر . وبين سبحانه أنها عبرة ؛ لأنها مما يستدل بخلقها وأفعالها على عظيم القدرة الإلهية ، ثم فصل سبحانه ما فى هذه الأنعام من النعم بعد ما ذكره من العبرة فيها للعباد فقال: ﴿ **نسقيكم مما فى بطونها** ﴾ يعنى سبحانه: اللبن المتكوّن فى بطونها المنصبّ إلى ضروعها، فإن فى انعقاد ما تأكله من العلق واستحالته إلى هذا الغذاء اللذيذ ، والمشروب النفيس أعظم عبرة للمعتبرين، وأكبر موعظة للمتعظين. وقرئ ﴿**نسقيكم**﴾ بالنون على أن الفاعل هو الله سبحانه، وقرئ بالتاء الفوقية على أن الفاعل هو الأنعام، ثم ذكر ما فيها من المنافع إجمالاً فقال : ﴿ **ولكم فيها منافع كثيرة** ﴾ يعنى فى ظهورها وألبانها وأولادها وأصوافها وأشعارها ، ثم ذكر منفعة خاصة فقال : ﴿ **ومنها تأكلون** ﴾ لما فى الأكل من عظيم الانتفاع لهم .

وكذلك ذكر الركوب عليها لما فيه من المنفعة العظيمة فقال: ﴿ **وعليها وعلى الفلك تحملون**﴾ أى وعلى الأنعام ، فإن أريد بالأنعام الإبل والبقر والغنم ، فالمراد وعلى بعض الأنعام ، وهى الإبل خاصة ، وإن أريد بالأنعام الإبل خاصة فالمعنى واضح . ثم لما كانت الأنعام هى غالب ما يكون الركوب عليه فى البرّ ضمّ إليها ما يكون الركوب عليه فى البحر ، فقال : ﴿ **وعلى الفلك تحملون** ﴾ تتميماً للنعمة وتكميلاً للمنة .

وقد أخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم عن ابن عباس قال : السلالة : صفو الماء الرقيق الذى يكون منه الولد . وأخرج ابن أبى حاتم عن ابن مسعود قال : إن النطفة إذا وقعت فى الرحم طارت فى [كل] (١) شعر وظفر فتمكث أربعين يوماً ، ثم تنحدر فى الرحم فتكون علقة . وللتابعين فى تفسير السلالة أقوال قد قدّمنا الإشارة إليها . وأخرج ابن أبى حاتم عن ابن عباس : ﴿ **ثم أنشأناه خلقا آخر** ﴾ قال : الشعر والأسنان . وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عنه : ﴿ **ثم أنشأناه خلقا آخر** ﴾ قال : نفخ فيه الروح ، وكذا قال : مجاهد وعكرمة والشعبى والحسن وأبو العالية والربيع بن أنس والسدّى والضحّاك وابن زيد ، واختاره ابن جرير . وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم عن مجاهد: ﴿**ثم أنشأناه خلقا آخر**﴾

---

(١) ما بين المعقوفتين ساقط من المخطوطة ، وقد أثبتناه من الدر المنثور ٥ / ٦ ليستقيم المعنى .

قال : حين استوى به الشباب . وأخرج ابن أبى شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر عن صالح أبى الخليل قال: لما نزلت هذه الآية على النبى ﷺ إلى قوله : ﴿ **ثم أنشأناه خلقا آخر** ﴾ قال عمر: ﴿**فتبارك الله أحسن الخالقين**﴾ قال: والذين نفسى بيده إنها ختمت بالذى تكلمت به يا عمر.

وأخرج الطيالسى وابن أبى حاتم وابن مردويه وابن عساكر عن أنس قال : قال عمر : وافقت ربى فى أربع ، قلت : يا رسول الله ، لو صلينا خلف المقام ؟ فأنزل الله : ﴿ واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى ﴾ [البقرة: ١٢٥] وقلت: يا رسول الله ، لو اتخذت على نسائك حجاباً فإنه يدخل عليك البرّ والفاجر ، فأنزل الله: ﴿وإذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب﴾ [الأحزاب: ٥٣] وقلت لأزواج النبى ﷺ: لتنتهنّ أو ليبدلنه الله أزواجاً خيراً منكنّ، فنزلت: ﴿عسى ربه إن طلقكن ﴾ الآية [التحريم: ٥] ، ونزلت : ﴿ **ولقد خلقنا الإنسان من سلالة** ﴾ إلى قوله : ﴿ **ثم أنشأناه خلقا آخر** ﴾ فقلت أنا : ﴿ **فتبارك الله أحسن الخالقين** ﴾ [١]. وأخرج ابن راهويه وابن المنذر وابن أبى حاتم، والطبرانى فى الأوسط ، وابن مردويه عن زيد بن ثابت قال : أملى رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿ **ولقد خلقنا الإنسان** ﴾ إلى قوله ﴿ **خلقا آخر**﴾ فقال معاذ ابن جبل : ﴿ **فتبارك الله أحسن الخالقين** ﴾ فضحك رسول الله ﷺ ، فقال له معاذ ، مم ضحكت يا رسول الله ؟ قال : «بها ختمت ﴿ **فتبارك الله أحسن الخالقين** ﴾ » [٢] . وفى إسناده جابر الجعفى وهو ضعيف جداً . قال ابن كثير[٣] : وفى خبره هذا نكارة شديدة ، ذلك أن هذه السورة مكية ، وزيد بن ثابت إنما كتب الوحى بالمدينة ، وكذلك إسلام معاذ بن جبل إنما كان بالمدينة ، والله أعلم .

وأخرج ابن مردويه والخطيب ، قال السيوطى[٤] : بسند ضعيف ، عن ابن عباس عن النبى ﷺ قال : « أنزل الله من الجنة إلى الأرض خمسة أنهار : سيحون وهو نهر الهند ، وجيحون وهو نهر بلخ ، ودجلة والفرات وهما نهرا العراق ، والنيل وهو نهر مصر ، أنزلها من عين واحدة من عيون الجنة من أسفل الجنة من أسفل درجة من درجاتها على جناحى جبريل ، فاستودعها الجبال وأجراها فى الأرض ، وجعلها منافع للناس فى أصناف معايشهم ، فذلك قوله: ﴿ **وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكناه فى الأرض** ﴾ فإذا كان عند خروج يأجوج ومأجوج أرسل الله جبريل ، فرفع من الأرض القرآن والعلم ، والحجر من ركن البيت ، ومقام إبراهيم، وتابوت موسى بما فيه ، وهذه الأنهار الخمسة ، فيرفع كل ذلك إلى السماء فذلك قوله:

---

(١) الطيالسى ص ٩ ، ١٠ .

(٢) الهيثمى فى المجمع ٧ / ٧٥. وقال : « رواه الطبرانى فى الأوسط وفيه جابر الجعفى وهو ضعيف وقد وثقه، وبقية رجاله رجال الصحيح » .

(٣) ابن كثير ٥ / ١٣ ، ١٤ .

(٤) الدر المنثور ٥ / ٨ .

﴿ **وإنا على ذهاب به لقادرون** ﴾ فإذا رفعت هذه الأشياء من الأرض فقد أهلها خير الدنيا والآخرة». وأخرج ابن جرير وابن المنذر عن ابن عباس ، قال : طور سيناء هو الجبل الذى نودى منه موسى. وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم عنه فى قوله : ﴿ **تنبت بالدهن** ﴾ قال : هو الزيت يؤكل ويدهن به .

﴿ **وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ (٢٣) فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَائِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ (٢٤) إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّىٰ حِينٍ (٢٥) قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ (٢٦) فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ (٢٧) فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى الْفُلْكِ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٢٨) وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِي مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ (٢٩) إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ (٣٠) ثُمَّ أَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ (٣١) فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ (٣٢) وَقَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الْآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ (٣٣) وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَاسِرُونَ (٣٤) أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ (٣٥) هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ (٣٦) إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ (٣٧) إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ (٣٨) قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ (٣٩) قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ (٤٠) فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٤١)** ﴾ .

لما ذكر سبحانه الفلك أتبعه بذكر نوح ؛ لأنه أوّل من صنعه ، وذكر ما صنعه قوم نوح معه بسبب إهمالهم للتفكر فى مخلوقات الله سبحانه والتذكر لنعمه عليهم فقال : ﴿ **ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه** ﴾ وفى ذلك تعزية لرسول الله ، وتسلية له ببيان أن قوم غيره من الأنبياء كانوا يصنعون مع أنبيائهم ما يصنعه قومه معه ، واللام جواب قسم محذوف ﴿**فقال يا قوم اعبدوا الله**﴾ أى اعبدوه وحده ولا تشركوا به شيئًا كما يستفاد من الآيات الآخرة ، وجملة : ﴿**ما لكم من إله غيره** ﴾ واقعة موقع التعليل لما قبلها ، وارتفاع ﴿ **غيره** ﴾ لكونه وصفاً لإله على المحل ؛ لأنه

obeikandl.com

مبتدأ خبره لكم ، أى ما لكم فى الوجود إله غيره سبحانه ، وقرئ بالجرّ اعتباراً بلفظ إله ﴿ **أفلا تتقون** ﴾ أى أفلا تخافون أن تتركوا عبادة ربكم الذى لا يستحقّ العبادة غيره ، وليس لكم إله سواه . وقيل : المعنى : أفلا تخافون أن يرفع عنكم ما خوّلكم من النعم ويسلبها عنكم . وقيل : المعنى : أفلا تقون أنفسكم عذابه الذى تقتضيه ذنوبكم .

﴿ **فقال الملأ الذين كفروا من قومه** ﴾ أى قال أشراف قومه الذين كفروا به : ﴿ **ما هذا إلا بشر مثلكم** ﴾ أى من جنسكم فى البشرية ، لا فرق بينكم وبينه ﴿ **يريد أن يتفضل عليكم** ﴾ أى يطلب الفضل عليكم بأن يسودكم حتى تكونوا تابعين له منقادين لأمره ، ثم صرّحوا بأن البشر لا يكون رسولا فقالوا : ﴿ **ولو شاء الله لأنزل ملائكة** ﴾ أى لو شاء الله إرسال رسول لأرسل ملائكة ، وإنما عبر بالإنزال عن الإرسال ؛ لأن إرسالهم إلى العباد يستلزم نزولهم إليهم ﴿ **ما سمعنا بهذا فى آبائنا الأولين** ﴾ أى بمثل دعوى هذا المدّعى للنبوّة من البشر ، أو بمثل كلامه ، وهو الأمر بعبادة الله وحده أو ما سمعنا ببشر يدّعى هذه الدعوى فى آبائنا الأولين ، أى فى الأمم الماضية قبل هذا . وقيل : الباء فى : ﴿ **بهذا** ﴾ زائدة، أى ما سمعنا هذا كائنا فى الماضين ، قالوا هذا اعتمادًا منهم على التقليد واعتصامًا بحبله . ولم يقنعوا بذلك حتى ضموا إليه الكذب البحت ، والبهت الصراح فقالوا : ﴿ **إن هو إلا رجل به جنة** ﴾ أى جنون لا يدرى ما يقول : ﴿**فتربصوا به حتى حين** ﴾ أى انتظروا به حتى يستبين أمره ، بأن يفيق من جنونه فيترك هذه الدعوى، أو حتى يموت فتستريحوا منه . قال الفراء : ليس يريد بالحين هنا وقتًا بعينه إنما هو كقولهم : دعه إلى يوم ما . فلما سمع عليه الصلاة والسلام كلامهم وعرف تماديهم على الكفر وإصرارهم عليه ﴿ **قال رب انصرنى** ﴾ عليهم فانتقم منهم بما تشاء وكيف تريد ، والباء فى : ﴿**بما كذبون** ﴾ للسببية، أى بسبب تكذيبهم إياى .

﴿ **فأوحينا إليه** ﴾ عند ذلك أى أرسلنا إليه رسولا من السماء ﴿ **أن اصنع الفلك** ﴾ وأن هى مفسرة لما فى الوحى من معنى القول ﴿ **بأعيننا** ﴾ أى متلبسًا بحفظنا وكلاءتنا ، وقد تقدّم بيان هذا فى هود. ومعنى ﴿ **ووحينا** ﴾ : أمرنا لك وتعليمنا إياك لكيفية صنعها. والفاء فى قوله : ﴿ **فإذا جاء أمرنا** ﴾لترتيب ما بعدها على ما قبلها من صنع الفلك، والمراد بالأمر : العذاب ﴿**وفار التنور** ﴾ معطوف على الجملة التى قبله عطف النسق ، وقيل : عطف البيان ، أى إن مجىء الأمر هو فور التنور ، أى تنور آدم الصائر إلى نوح ، أى إذا وقع ذلك ﴿ **فاسلك فيها من كل زوجين اثنين** ﴾ أى ادخل فيها . يقال : سلكه فى كذا أدخله وأسلكته أدخلته . قرأ حفص : ﴿**من كل** ﴾ بالتنوين ، وقرأ الباقون بالإضافة ، ومعنى القراءة الأولى : من كلّ أمة زوجين ، ومعنى الثانية : من كل زوجين ، وهما أمة الذكر والأنثى اثنين . وانتصاب ﴿ **أهلك** ﴾ بفعل معطوف على ﴿ **فاسلك** ﴾ لا بالعطف على زوجين، أو على ﴿ **اثنين** ﴾ على القراءتين لأدائه إلى اختلاف المعنى ، أى واسلك أهلك ﴿ **إلا من سبق عليه القول منهم** ﴾ أى القول بإهلاكهم منهم ﴿**ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا** ﴾ بالدعاء لهم بإنجائهم ، وجملة : ﴿ **إنهم مغرقون** ﴾ تعليل

للنهى عن المخاطبة ، أى إنهم مقضى عليهم بالإغراق لظلمهم ، ومن كان هكذا فهو لايستحق الدعاء له .

﴿ **فإذا استويت** ﴾ أى علوت ﴿ **أنت ومن معك** ﴾ من أهلك وأتباعك ﴿ **على الفلك** ﴾ راكبين عليه ﴿ **فقل الحمد لله الذى نجانا من القوم الظالمين** ﴾ أى حال بيننا وبينهم، وخلصنا منهم، كقوله : ﴿ فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين ﴾ [الأنعام : ٤٥] . وقد تقدّم تفسير هذه القصة فى سورة هود على التمام والكمال ، وإنما جعل سبحانه استواءهم على السفينة نجاة من الغرق جزمًا ؛ لأنه قد سبق فى علمه أن ذلك سبب نجاتهم من الظلمة ، وسلامتهم من أن يصابوا بما أصيبوا به من العذاب .

ثم أمره أن يسأل ربه ما هو أنفع له وأتمّ فائدة فقال : ﴿ **وقل رب أنزلنى منزلا مباركا** ﴾ أى أنزلنى فى السفينة . قرأ الجمهور : ﴿ **منزلا** ﴾ بضم الميم وفتح الزاى على أنه مصدر . وقرأ زرّ ابن حبيش وأبو بكر عن عاصم والمفضل بفتح الميم وكسر الزاى على أنه اسم مكان . فعلى القراءة الأولى: أنزلنى إنزالاً مباركًا ، وعلى القراءة الثانية : أنزلنى مكانًا مباركًا، قال الجوهرى: والمنزل بفتح الميم والزاى النزول ، وهو الحلول ، تقول : نزلت نزولا ومنزلا. قال الشاعر :

أإن ذكرتك الدار منزلها جمل بكيت فدمع العين منحدر سجل

بنصب منزلها ؛ لأنه مصدر .قيل : أمره الله سبحانه بأن يقول هذا القول عند دخوله السفينة . وقيل : عند خروجه منها، والآية تعليم من الله لعباده إذا ركبوا ثم نزلوا أن يقولوا هذا القول : ﴿ **وأنت خير المنزلين** ﴾ هذا ثناء منه على الله عزّ وجلّ إثر دعاءه له . قال الواحدى : قال المفسرون : إنه أمر أن يقول عند استوائه على الفلك : الحمد لله ، وعند نزوله منها: ربّ أنزلنى منزلا مباركًا ، والإشارة بقوله : ﴿ **إن فى ذلك** ﴾ إلى ما تقدّم مما قصه الله علينا من أمر نوح عليه السلام : والآيات الدلالات على كمال قدرته سبحانه ، والعلامات التى يستدلّ بها على عظيم شأنه ﴿ **وإن كنا لمبتلين** ﴾ أى لمختبرين لهم بإرسال الرسل إليهم ؛ ليظهر المطيع والعاصى للناس أو للملائكة . وقيل : المعنى : أنه يعاملهم سبحانه معاملة المختبر لأحوالهم ، تارة بالإرسال ، وتارة بالعذاب .

﴿ **ثم أنشأنا من بعدهم قرنا آخرين** ﴾ أى من بعد إهلاكهم . قال أكثر المفسرين : إن هؤلاء الذين أنشأهم الله بعدهم هم عاد قوم هود ، لمجيء قصتهم على إثر قصة نوح فى غير هذا الموضع ، و لقوله فى الأعراف: ﴿ واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح ﴾ [الأعراف: ٦٩] وقيل: هم ثمود ؛ لأنهم الذين أهلكوا بالصيحة . وقد قال سبحانه فى هذه القصة : ﴿**فأخذتهم الصيحة** ﴾ وقيل : هم أصحاب مدين قوم شعيب ؛ لأنهم ممن أهلك بالصيحة ﴿**فأرسلنا فيهم رسولا** ﴾ عدى فعل الإرسال بفى مع أنه يتعدّى بإلى ؛ للدلالة على أن هذا

الرسول المرسل إليهم نشأ فيهم بين أظهرهم ، يعرفون مكانه ومولده ، ليكون سكونهم إلى قوله أكثر من سكونهم إلى من يأتيهم من غير مكانهم . وقيل : وجه التعدية للفعل المذكور بفى أنه ضمن معنى القول ، أى قلنا لهم على لسان الرسول ﴿ **اعبدوا الله** ﴾ ولهذا جيء بأن المفسرة . والأوّل أولى ؛ لأن تضمين أرسلنا معنى قلنا لا يستلزم تعديته بفى، وجملة: ﴿ **ما لكم من إله غيره** ﴾ تعليل للأمر بالعبادة ﴿ **أفلا تتقون** ﴾ عذابه الذى يقتضيه شرككم .

﴿ **وقال الملأ من قومه** ﴾ أى أشرافهم وقادتهم . ثم وصف الملأ بالكفر والتكذيب فقال : ﴿**الذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة** ﴾ أى كذبوا بما فى الآخرة من الحساب والعقاب ، أو كذبوا بالبعث ﴿ **وأترفناهم** ﴾ أى وسعنا لهم نعم الدنيا فبطروا بسبب ما صاروا فيه ﴿ **فى الحياة الدنيا** ﴾ من كثرة الأموال ورفاهة العيش ﴿ **ما هذا إلا بشر مثلكم** ﴾ أى قال الملأ لقومهم هذا القول ، وصفوه بمساواتهم فى البشرية، وفى الأكل: ﴿ **مما تأكلون منه** ﴾ والشرب : ﴿ **مما تشربون** ﴾ منه، وذلك يستلزم عندهم أنه لا فضل له عليهم . قال الفراء : إن معنى ﴿**ويشرب مما تشربون** ﴾ على حذف منه ، أى مما تشربون منه . وقيل : إن ما مصدرية ، فلا تحتاج إلى عائد .

﴿ **ولئن أطعتم بشرا مثلكم** ﴾ فيما ذكر من الأوصاف ﴿ **إنكم إذا لخاسرون** ﴾ أى مغبونون بترككم آلهتكم واتباعكم إياه من غير فضيلة له عليكم . والاستفهام فى قوله : ﴿ **أيعدكم أنكم إذا متم** ﴾ للإنكار ، والجملة مستأنفة مقرّرة لما قبلها من تقبيح اتباعهم له . قرئ بكسر الميم من ﴿ **متم** ﴾ من مات يمات كخاف يخاف ، وقرئ بضمها من مات يموت ، كقال يقول . ﴿**وكنتم ترابا وعظاما** ﴾ أى كان بعض أجزائكم ترابًا ، وبعضها عظامًا نخرة لا لحم فيها ولا أعصاب عليها. وقيل : وتقديم التراب ؛ لكونه أبعد فى عقولهم . وقيل : المعنى: كان متقدّموكم ترابًا ، ومتأخروكم عظامًا ﴿ **أنكم مخرجون** ﴾ أى من قبوركم أحياء كما كنتم ، قال سيبويه : « أن » الأولى فى موضع نصب وبوقوع أيعدكم عليها ، وأن الثانية بدل منها . وقال الفرّاء والجرمى والمبرّد : إن « أن » الثانية مكرّرة للتوكيد ، وحسن تكريرها لطول الكلام ، وبمثله قال الزجاج . وقال الأخفش : « أن » الثانية فى محل رفع بفعل مضمر ، أى يحدث إخراجكم كما تقول : اليوم القتال، فالمعنى : اليوم يحدث القتال .

﴿ **هيهات هيهات لما توعدون** ﴾ أى بعد ما توعدون ، أو بعيد ما توعدون ، والتكرير للتأكيد .قال ابن الأنبارى : وفى هيهات عشر لغات ثم سردها ، وهى مبينة فى علم النحو . وقد قرئ ببعضها ، واللام فى: ﴿ **لما توعدون** ﴾ لبيان المستبعد كما فى قولهم : هيت لك ، كأنه قيل : لماذا هذا الاستبعاد ؟ فقيل : لما توعدون . والمعنى : بعد إخراجكم للوعد الذى توعدون، هذا على أن هيهات اسم فعل. وقال الزجاج: هو فى تقدير المصدر، أى البعد لما توعدون، أو بعد لما توعدون ، على قراءة من نوّن فتكون على هذا مبتدأ خبره: ﴿ **لما توعدون**﴾ .

ثم بين سبحانه إترافهم بأنهم قالوا : ﴿ **إن هى إلا حياتنا الدنيا** ﴾ أى ما الحياة إلا حياتنا الدنيا ، لا الحياة الآخرة التى تعدنا بها ، وجملة : ﴿ **نموت ونحيا** ﴾ مفسرّة لما ادّعوه من قصرهم حياتهم على حياة الدنيا . ثم صرحوا بنفى البعث ، وأن الوعد به منه افتراء على الله فقالوا : ﴿ **وما نحن بمبعوثين . إن هو إلا رجل افترى على الله كذبا** ﴾ أى ما هو فيما يدّعيه إلا مفتر للكذب على الله ﴿ **وما نحن له بمؤمنين** ﴾ أى بمصدّقين له فيما يقوله . ﴿ **قال رب انصرنى**﴾ أى قال نبيهم لما علم بأنهم لا يصدّقونه البتة : ربّ انصرنى عليهم وانتقم لى منهم بسبب تكذيبهم إياى .

﴿ **قال عما قليل ليصبحن نادمين** ﴾ أى قال الله سبحانه مجيبًا لدعائه واعدًا بالقبول لما دعا به: عما قليل من الزمان ليصبحنّ نادمين على ما وقع منهم من التكذيب والعناد والإصرار على الكفر . و« ما » فى : ﴿ **عما قليل** ﴾ مزيدة بين الجارّ والمجرور للتوكيد لقلة الزمان ، كما فى قوله : ﴿ فبما رحمة من الله ﴾ [آل عمران : ١٥٩] . ثم أخبر سبحانه بأنها ﴿ **أخذتهم الصيحة** ﴾ وحاق بهم عذابه ونزل عليهم سخطه . قال المفسرون : صاح بهم جبريل صيحة واحدة مع الريح التى أهلكهم الله بها فماتوا جميعًا . وقيل : الصيحة : هى نفس العذاب الذى نزل بهم ، ومنه قول الشاعر :

صاح الزمان بآل برمك صيحة خرّوا لشدّتها على الأذقان

والباء فى: ﴿ **بالحق** ﴾ ماتعلق بالأخذ . ثم أخبر سبحانه عما صاروا إليه بعد العذاب النازل بهم: فقال: ﴿**فجعلناهم غثاء**﴾ أى كغثاء السيل الذى يحمله: والغثاء ما يحمله، والغثاء: ما يحمل السيل من بالى الشجر والحشيش والقصب ونحو ذلك مما يحمله على ظاهر الماء . والمعنى: صيرهم هلكى فيبسوا كما يبس الغثاء ﴿**فبعدا للقوم الظالمين** ﴾ انتصاب ﴿ **بعدا** ﴾ على المصدرية وهو من المصادر التى لا يذكر فعلها معها ، أى بعدوا بعدًا ، واللام لبيان من قيل له ذلك.

وقد أخرج ابن جرير وابن أبى حاتم عن ابن عباس فى قوله : ﴿ **فاسلك فيها** ﴾ يقول : اجعل معك فى السفينة ﴿ **من كل زوجين اثنين** ﴾ . وأخرج ابن أبى شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم عن مجاهد : ﴿ **وقل رب أنزلنى منزلا مباركا** ﴾ قال لنوح حين أنزل من السفينة . وأخرج هؤلاء عن قتادة فى الآية قال : يعلمكم سبحانه كيف تقولون إذا ركبتم ، وكيف تقولون إذا نزلتم . أما عند الركوب : ﴿ فسبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين . وإنا إلى ربنا لمنقلبون﴾ [الزخرف:١٣ ،١٤] ، ﴿ بسم الله مجراها ومرساها إن ربى لغفور رحيم ﴾ [هود : ٤١] ، وعند النزول: ﴿ **رب أنزلنى منزلا مباركا وأنت خير المنزلين** ﴾. وأخرج ابن أبى حاتم عن أبى مالك فى قوله : ﴿ **قرنا** ﴾ قال : أمة . وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم عن ابن عباس فى قوله : ﴿ **هيهات هيهات** ﴾ قال : بعيد بعيد . وأخرج ابن جرير عنه فى قوله : ﴿ **فجعلناهم غثاء** ﴾ قال : جعلوا كالشىء الميت البالى من الشجر .

obeikandl.com

﴿ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قُرُونًا آخَرِينَ (٤٢) مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ (٤٣) ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ (٤٤) ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ (٤٥) إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ (٤٦) فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ (٤٧) فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ (٤٨) وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ (٤٩) وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ (٥٠) يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ (٥١) وَإِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ (٥٢) فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ (٥٣) فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ (٥٤) أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ (٥٥) نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَل لاَّ يَشْعُرُونَ(٥٦)﴾ .

قوله . ﴿ **ثم أنشأنا من بعدهم** ﴾ أى من بعد إهلاكهم ﴿ **قرونا آخرين** ﴾ قيل : هم قوم صالح ولوط وشعيب كما وردت قصتهم على هذا الترتيب فى الأعراف وهود . وقيل : هم بنو إسرائيل . والقرون : الأمم ، ولعل وجه الجمع هنا للقرون والإفراد فيما سبق قريبًا : أنه أراد هاهنا أمما متعدّدة وهناك أمة واحدة . ثم بين سبحانه كمال علمه وقدرته فى شأن عباده فقال : ﴿**ما تسبق من أمة أجلها وما يستأخرون** ﴾ أى ما تتقدّم كل طائفة مجتمعة فى قرن آجالها المكتوبة لها فى الهلاك ولا تتأخر عنها ، ومثل ذلك قوله تعالى : ﴿ فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ﴾ [النحل : ٦١] .

ثم بين سبحانه أن رسله كانوا بعد هذه القرون متواترين ، وأن شأن أممهم كان واحدًا فى التكذيب لهم فقال: ﴿ **ثم أرسلنا رسلنا تترا** ﴾ والجملة معطوفة على الجملة التى قبلها بمعنى : أن إرسال كل رسول متأخر عن إنشاء القرن الذى أرسل إليه ، لا على معنى أن إرسال الرسل جميعًا متأخر عن إنشاء تلك القرون جميعًا ، ومعنى ﴿**تترا**﴾: تتواتر واحدًا بعد واحد ويتبع بعضهم بعضًا ، من الوتر وهو الفرد . قال الأصمعى : واترت كتبى عليه : أتبعت بعضها بعضًا ، إلا أن بين كل واحد منها وبين الآخر مهلة. وقال غيره . المتواترة المتتابعة بغير مهلة . قرأ ابن كثير وأبو عمرو: « تترى » بالتنوين على أنه مصدر. قال النحاس : وعلى هذا يجوز : « تترى » بكسر التاء الأولى ؛ لأن معنى ﴿ **ثم أرسلنا** ﴾ : واترنا ، ويجوز أن يكون فى موضع الحال ، أى متواترين ﴿ **كلما جاء أمة رسولها كذبوه** ﴾ هذه الجملة مستأنفة مبينة لمجيء كل رسول لأمته على أن المراد بالمجيء : التبليغ ﴿ **فأتبعنا بعضهم بعضا** ﴾ أى فى الهلاك بما نزل بهم من العذاب ﴿**وجعلناهم أحاديث** ﴾ الأحاديث جمع أحدوثة ، وهى ما يتحدّث به الناس كالأعاجيب جمع

أعجوبة ، وهى ما يتعجب الناس منه . قال الأخفش: إنما يقال : جعلناهم أحاديث فى الشرّ ، ولا يقال فى الخير ، كما يقال : صار فلان حديثا ، أى عبرة ، وكما قال سبحانه فى آية أخرى: ﴿فجعلناهم أحاديث ومزقناهم كل ممزق﴾ [سبأ : ١٩] . قلت : وهذه الكلية غير مسلمة ، فقد يقال: صار فلان حديثًا حسنًا ، ومنه قول ابن دريد فى مقصورته :

وإنما المرء حديث بعده فكن حديثا حسنًا لمن روى

﴿ **فبعدا لقوم لا يؤمنون** ﴾ وصفهم هنا بعدم الإيمان ، وفيما سبق قريبًا بالظلم ؛ لكون كل من الوصفين صادرًا عن كل طائفة من الطائفتين ، أو لكون هؤلاء لم يقع منهم إلا مجرّد عدم التصديق ، وأولئك ضموا إليه تلك الأقوال الشنيعة التى هى من أشد الظلم وأفظعه .

ثم حكى سبحانه ما وقع من فرعون وقومه عند إرسال موسى وهارون إليهم فقال : ﴿ **ثم أرسلنا موسى وأخاه هارون بآياتنا** ﴾ هى التسع المتقدّم ذكرها غير مرّة ، ولايصح عدّ فلق البحر منها هنا ؛ لأن المراد : الآيات التى كذبوا بها واستكبروا عنها . والمراد بالسلطان المبين : الحجة الواضحة البينة . قيل : هى الآيات التسع نفسها ، والعطف من باب :

إلى الملك القرم وابن الهمام

وقيل: أراد العصى ؛ لأنها أمّ الآيات ، فيكون من باب عطف جبريل على الملائكة. وقيل: المراد بالآيات : التى كانت لهما ، وبالسلطان : الدلائل . المبين : التسع الآيات ، والمراد بالملأ فى قوله : ﴿ **إلى فرعون وملئه** ﴾ : هم الأشراف منهم كما سبق بيانه غير مرّة ﴿**فاستكبروا** ﴾ أى طلبوا الكبر وتكلفوه فلم ينقادوا للحق ﴿ **وكانوا قوما عالين** ﴾ قاهرين للناس بالبغى والظلم ، مستعلين عليهم ، متطاولين كبرًا وعنادًا وتمردًا . وجملة : ﴿**فقالوا أنؤمن لبشرين مثلنا**﴾ معطوفة على جملة: ﴿ **استكبروا** ﴾ وما بينهما اعتراض ، والاستفهام للإنكار ، أى كيف نصدق من كان مثلنا فى البشرية ؟ والبشر يطلق على الواحد كقوله : ﴿ بشرا سويا ﴾ [مريم : ١٧] كما يطلق على الجمع كما فى قوله : ﴿ فإما ترين من البشر أحدا ﴾ [مريم: ٢٦] فتثنيته هنا هى باعتبار المعنى الأول ، وأفرد المثل لأنه فى حكم المصدر ، ومعنى ﴿ **وقومهما لنا عابدون** ﴾ : أنهم مطيعون لهم منقادون لما يأمرونهم به كانقياد العبيد . قال المبرّد : العابد : المطيع الخاضع . قال أبو عبيدة : العرب تسمى كل من دان الملك : عابدًا له . وقيل : يحتمل أنه كان يدّعى الإلهية فدعى الناس إلى عبادته فأطاعوه ، واللام فى: ﴿ **لنا** ﴾ متعلقة بـ ﴿**عابدون**﴾ قدّمت عليه لرعاية الفواصل ، والجملة حالية ﴿ **فكذبوهما** ﴾ أى فأصروا على تكذيبهما . ﴿ **فكانوا من المهلكين** ﴾ بالغرق فى البحر .

ثم حكى سبحانه ما جرى على قوم موسى بعد إهلاك عدوّهم فقال : ﴿ **ولقد آتينا موسى الكتاب** ﴾ يعنى التوراة ، وخصّ موسى بالذكر ؛ لأن التوراة أنزلت عليه فى الطور ، وكان هارون خليفته فى قومه . ﴿ **لعلهم يهتدون** ﴾ أى لعلّ قوم موسى يهتدون بها إلى الحق ،

ويعملون بما فيها من الشرائع ، فجعل سبحانه إيتاء موسى إياها إيتاء لقومه ؛ لأنها وإن كانت منزلة على موسى فهى لإرشاد قومه . وقيل : إن ثمّ مضافًا محذوفًا أقيم المضاف إليه مقامه ، أى آتينا قوم موسى الكتاب . وقيل : إن الضمير فى :﴿ **لعلهم** ﴾ يرجع إلى فرعون وملئه ، وهو وهم ؛ لأن موسى لم يؤت التوراة إلا بعد إهلاك فرعون وقومه ،كما قال سبحانه : ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الأولى ﴾ [القصص : ٤٣] .

ثم أشار سبحانه إلى قصة عيسى إجمالا فقال : ﴿ **وجعلنا ابن مريم وأمه آية** ﴾ أى علامة تدل على عظيم قدرتنا ، وبديع صنعنا ، وقد تقدّم الكلام على هذا في آخر سورة الأنبياء فى تفسير قوله سبحانه : ﴿ وجعلناها وابنها آية للعالمين ﴾ [الأنبياء : ٩١] . ومعنى قوله : ﴿**وآويناهما إلى ربوة** ﴾ إلى مكان مرتفع ، أى جعلناهما يأويان إليها. قيل: هى أرض دمشق ، وبه قال عبد الله بن سلام وسعيد بن المسيب ومقاتل. وقيل: بيت المقدس ، قاله قتادة وكعب. وقيل: أرض فلسطين، قاله السدّى. ﴿ **ذات قرار** ﴾ أى ذات مستقرّ يستقرّ عليه ساكنوه ﴿**ومعين**﴾ أى وماء معين . قال الزجاج : هو الماء الجارى فى العيون ، فالميم على هذا زائدة كزيادتها فى منبع . وقيل: هو فعيل بمعنى مفعول. قال علىّ بن سليمان الأخفش: معن الماء : إذا جرى فهو معين ومعون، وكذا قال ابن الأعرابى. وقيل: هو مأخوذ من الماعون، وهو النفع ، ومثل ما قاله الزجاج قال الفراء .

﴿ **يأيها الرسل كلوا من الطيبات** ﴾ قال الزجاج : هذه مخاطبة لرسول الله ﷺ . ودلّ الجمع على أن الرسل كلهم كذا أمروا . وقيل : إن هذه المقالة خوطب بها كل نبىّ ؛ لأن هذه طريقتهم التى ينبغى لهم الكون عليها ، فيكون المعنى : وقلنا : يأيها الرسل ، خطابًا لكل واحد على انفراده لاختلاف أزمنتهم . وقال ابن جرير : إن الخطاب لعيسى . وقال الفراء : هو كما تقول للرجل الواحد : كفوا عنا . و﴿ **الطيبات** ﴾ : ما يستطاب ويستلذّ . وقيل : هى الحلال. وقيل : هى ما جمع الوصفين المذكورين . ثم بعد أن أمرهم بالأكل من الطيبات أمرهم بالعمل الصالح فقال : ﴿ **واعملوا صالحا** ﴾ أى عملا صالحًا وهو ما كان موافقًا للشرع ، ثم علل هذا الأمر بقوله : ﴿ **إنى بما تعملون عليم** ﴾ لا يخفى علىّ شىء منه ، وإنى مجازيكم على حسب أعمالكم إن خيرًا فخير ، وإن شرا فشرّ .

﴿ **وإن هذه أمتكم أمة واحدة** ﴾ هذا من جملة ما خوطب به الأنبياء ، والمعنى : أن هذه ملتكم وشريعتكم أيها الرسل ملة واحدة، وشريعة متحدة يجمعها أصل هو أعظم ما بعث الله به أنبياءه وأنزل فيه كتبه ، وهو دعاء جميع الأنبياء إلى عبادة الله وحده لا شريك له . وقيل : المعنى : إن هذا الذى تقدّم ذكره هو دينكم وملتكم فالزموه على أن المراد بالأمة هنا : الدين ، كما فى قوله : ﴿ إنا وجدنا آباءنا على أمة ﴾ [الزخرف : ٢٢] ، ومنه قول النابغة :

حلفت فلم أترك لنفسك ريبة وهل يأثمن ذو أمة وهو طائع

قرئ بكسر: « إن » على الاستئناف المقرّر لما تقدّمه ، وقرئ بفتحها وتشديدها. قال الخليل: هى فى موضع نصب لما زال الخافض ، أى أنا عالم بأن هذا دينكم الذى أمرتكم أن تؤمنوا به . وقال الفراء : إن متعلقة بفعل مضمر ، وتقديره : واعلموا أن هذه أمتكم . وقال سيبويه : هى متعلقة بـ﴿ **اتقون** ﴾ والتقدير : فاتقون لأن أمتكم أمة واحدة ، والفاء فى : ﴿ **فاتقون** ﴾ لترتيب الأمر بالتقوى على ما قبله من كونه ربكم المختصّ بالربوبية ، أى لا تفعلوا ما يوجب العقوبة عليكم منى بأن تشركوا بى غيرى ، أو تخالفوا ما أمرتكم به أو نهيتكم عنه .

ثم ذكر سبحانه ما وقع من الأمم من مخالفتهم لما أمرهم به الرسل فقال : ﴿ **فتقطعوا أمرهم بينهم زبرا** ﴾ والفاء لترتيب عصيانهم على ما سبق من الأمر بالتقوى ، والضمير يرجع إلى ما يدلّ عليه لفظ الأمة، والمعنى: أنهم جعلوا دينهم مع اتحاده قطعًا متفرّقة مختلفة . قال المبرّد : زبرًا : فرقًا وقطعًا مختلفة ، واحدها زبور ، وهى الفرقة والطائفة ، ومثله: الزبرة وجمعها زبر، فوصف سبحانه الأمم بأنهم اختلفوا فاتبعت فرقة التوراة ، وفرقة الزبور ، وفرقة الإنجيل ثم حرّفوا وبدّلوا ، وفرقة مشركة تبعوا ما رسمه لهم آباؤهم من الضلال . قرئ : ﴿ **زبرا** ﴾ بضم الباء جمع زبور ، وقرئ بفتحها ، أى قطعًا كقطع الحديد ﴿ **كل حزب بما لديهم فرحون** ﴾ أى كل فريق من هؤلاء المختلفين ﴿ **بما لديهم** ﴾ أى بما عندهم من الدين ﴿ **فرحون** ﴾ أى معجبون به.

﴿ **فذرهم فى غمرتهم حتى حين** ﴾ أى اتركهم فى جهلهم ، فليسوا بأهل للهداية ، ولا يضيق صدرك بتأخير العذاب عنهم ، فلكلّ شىء وقت . شبه سبحانه ما هم فيه من الجهل بالماء الذى يغمر من دخل فيه . والغمرة فى الأصل : ما يغمرك ويعلوك ، وأصله : الستر . والغمر: الماء الكثير ؛ لأنه يغطى الأرض ، وغمر الرداء هو الذى يشمل الناس بالعطاء ، ويقال للحقد : الغمر ، والمراد هنا : الحيرة والغفلة والضلالة ، والآية خارجة مخرج التهديد لهم ، لا مخرج الأمر له ﷺ بالكفّ عنهم ،ومعنى ﴿ **حتى حين** ﴾:حتى يحضر وقت عذابهم بالقتل، أو حتى يموتوا على الكفر فيعذّبون فى النار .

﴿ **أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين** ﴾ أى أيحسبون إنما نعطيهم فى هذه الدنيا من الأموال والبنين . ﴿**نسارع**﴾ به ﴿ **لهم** ﴾ فيما فيه خيرهم وإكرامهم ، والهمزة للإنكار ، والجواب عن هذا مقدّر يدّل عليه قوله : ﴿ **بل لا يشعرون** ﴾ لأنه عطف على مقدر ينسحب إليه الكلام ، أى كلا لا نفعل ذلك بل هم لا يشعرون بشىء أصلاً كالبهائم التى لا تفهم ولا تعقل ، فإن ما خوّلناهم من النعم وأمددناهم به من الخيرات إنما هو استدراج لهم ليزدادوا إثما، كما قال سبحانه: ﴿ إنما نملى لهم ليزدادوا إثما ﴾ [آل عمران : ١٧٨]. قال الزجاج : المعنى: نسارع لهم به فى الخيرات ، فحذفت به ، و« ما » فى : ﴿ **إنما** ﴾ موصولة ، والرابط هو هذا المحذوف . وقال الكسائى : إن إنما هنا حرف واحد فلا يحتاج إلى تقدير رابط. قيل : يجوز الوقف على بنين . وقيل : لا يحسن ؛ لأن يحسبون يحتاج إلى مفعولين ، فتمام المفعولين فى

obeikandi.com

الخيرات . قال ابن الأنبارى : وهذا خطأ ؛ لأن « ما » كافة . وقرأ أبو عبد الرحمن السلمى وعبد الرحمن بن أبى بكرة : « يسارع » بالياء التحتية على أن فاعله ما يدّل عليه أمددنا، وهو الإمداد ، ويجوز أن يكون المعنى : يسارع الله لهم . وقرأ الباقون : ﴿ **نسارع** ﴾ بالنون . قال الثعلبى : وهذه القراءة هى الصواب لقوله: ﴿ **نمدهم** ﴾ .

وقد أخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم عن ابن عباس فى قوله : ﴿ **ثم أرسلنا رسلنا تترا** ﴾ قال : يتبع بعضهم بعضًا . وفى لفظ قال : بعضهم على إثر بعض . وأخرج عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم عن قتادة ﴿ **وجعلنا ابن مريم وأمه آية** ﴾ قال : ولدته من غير أب . وأخرج ابن أبى حاتم عن الربيع بن أنس ﴿**آية**﴾ قال : عبرة . وأخرج ابن جرير وابن أبى حاتم عن ابن عباس : ﴿ **وآويناهما إلى ربوة** ﴾ قال: الربوة : المستوية ، والمعنى : الماء الجارى ، وهو النهر الذى قال الله : ﴿ قد جعل ربك تحتك سريا ﴾ [مريم : ٢٤]. وأخرج ابن أبى شيبة وابن المنذر وابن أبى حاتم عنه : ﴿ **وآويناهما إلى ربوة** ﴾ قال: هى المكان المرتفع من الأرض، وهو أحسن ما يكون فيه النبات ﴿**ذات قرار**﴾ :ذات خصب. والمعين : الماء الظاهر . وأخرج وكيع والفريابى وابن أبى شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبى حاتم وتمام الرازى وابن عساكر ، قال السيوطى: بسند صحيح ، عن ابن عباس فى قوله : ﴿ **إلى ربوة** ﴾ قال : أنبئنا أنها دمشق . وأخرج ابن عساكر عن عبد الله بن سلام مثله . وكذا أخرجه ابن أبى حاتم عنه. وأخرج ابن عساكر عن أبى أمامة مرفوعًا نحوه ، وإسناده ضعيف. وأخرج ابن جرير وابن أبى حاتم ، والطبرانى فى الأوسط ، وابن مردويه وابن عساكر عن مرة البهزى [(١)]، سمعت رسول الله ﷺ يقول : « الربوة الرملة » [(٢)] . وأخرج عبد الرزاق وعبد ابن حميد وابن جرير وابن أبى حاتم، والحاكم فى الكنى ، وابن عساكر عن أبى هريرة قال : هى الرملة من فلسطين . وأخرجه ابن مردويه من حديثه مرفوعًا . وأخرج الطبرانى وابن السكن وابن منده وأبو نعيم وابن عساكر عن الأقرع بن شفى العكى مرفوعًا نحوه .

وأخرج أحمد ومسلم وغيرهما عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ : « يأيها الناس، إن الله طيب لا يقبل إلا طيبًا ، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين ، فقال :﴿ **يأيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا إنى بما تعملون عليم** ﴾ وقال: ﴿ يأيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم ﴾ [البقرة : ١٧٢] » ثم ذكر: « الرجل يطيل السفر أشعث أغبر، ومطعمه حرام، ومشربه حرام ، وملبسه حرام، وغذى بالحرام، يمدّ يديه إلى السماء : يارب يارب، فأنى يستجاب لذلك » [(٣)] . وأخرج سعيد بن منصور عن حفص الفزارى فى قوله : ﴿ **يأيها الرسل**

---

(١) فى المطبوعة : « النهزى » ، والصحيح ما أثبتناه من ابن جرير والدر المنثور ، وعند الهيثمى : « الزهرى » .

(٢) ابن جرير ١٨ / ٢٠ . وقال الهيثمى فى المجمع ٧ / ٧٥ : « رواه الطبرانى فى الأوسط وفيه من لم أعرفهم».

(٣) أحمد ٢ / ٣٢٨ ومسلم فى الزكاة (١٠١٥ / ٦٥) والدارمى فى الرقاق ٢ / ٣٠٠ .

كلوا من الطيبات ﴾ قال : ذلك عيسى ابن مريم يأكل من غزل أمه . وأخرجه عبدان فى الصحابة عن حفص مرفوعًا ، وهو مرسل ؛ لأن حفصًا تابعى .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ (٥٧) وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ (٥٨)
وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لا يُشْرِكُونَ (٥٩) وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ
رَاجِعُونَ (٦٠) أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ (٦١) وَلا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا
وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ (٦٢) بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِّن
دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ (٦٣) حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْأَرُونَ (٦٤) لا
تَجْأَرُوا الْيَوْمَ إِنَّكُم مِّنَّا لا تُنصَرُونَ (٦٥) قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ
تَنكِصُونَ (٦٦) مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِرًا تَهْجُرُونَ (٦٧) ﴾ .

لما نفى سبحانه الخيرات الحقيقية عن الكفرة المتنعمين أتبع ذلك بذكر من هو أهل للخيرات عاجلاً وآجلا فوصفهم بصفات أربع : الأولى : قوله : ﴿ **إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون**﴾ الإشفاق : الخوف ، تقول : أنا مشفق من هذا الأمر ، أى خائف . قيل : الإشفاق هو الخشية ، فظاهر ما فى الآية التكرار . وأجيب بحمل الخشية على العذاب ، أى من عذاب ربهم خائفون ، وبه قال الكلبى ومقاتل . وأجيب أيضًا بحمل الإشفاق على ما هو أثر له: وهو الدوام على الطاعة ، أى الذين هم من خشية ربهم دائمون على طاعته . وأجيب أيضًا بأن الإشفاق كمال الخوف فلا تكرار . وقيل: هو تكرار للتأكيد . والصفة الثانية : قوله : ﴿**والذين هم بآيات ربهم يؤمنون** ﴾ قيل : المراد بالآيات : هى التنزيلية . وقيل: هى التكوينية . وقيل : مجموعهما . قيل : وليس المراد بالإيمان بها :هو التصديق بوجودها فقط ، فإن ذلك معلوم بالضرورة ولا يوجب المدح، بل المراد: التصديق بكونها دلائل وأن مدلولها حق. والصفة الثالثة: قوله : ﴿ **والذين هم بربهم لا يشركون** ﴾ أى يتركون الشرك تركًا كليًا ظاهرًا وباطنًا . والصفة الرابعة : قوله: ﴿ **والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون** ﴾ أى يعطون ما أعطوا وقلوبهم خائفة من أجل ذلك الإعطاء يظنون أن ذلك لا ينجيهم من عذاب الله، وجملة : ﴿ **وقلوبهم وجلة** ﴾ فى محل نصب على الحال، أى والحال أن قلوبهم خائفة أشدّ الخوف . قال الزجاج : قلوبهم خائفة لأنهم إلى ربهم راجعون ، وسبب الوجل هو أن يخافوا أن لا يقبل منهم ذلك على الوجه المطلوب ، لا مجرّد رجوعهم إليه سبحانه . وقيل : المعنى : أن من اعتقد الرجوع إلى الجزاء والحساب وعلم أن المجازى والمحاسب هو الربّ الذى لا تخفى عليه خافية لم يخل من وجل . وقرأت عائشة وابن عباس والنخعى: « يأتون ما أتوا » مقصورًا من الإتيان. قال الفراء : ولو صحت هذه القراءة لم تخالف قراءة الجماعة ؛ لأن من العرب من يلزم فى الهمز الألف فى كل الحالات . قال النحاس : معنى هذه القراءة : يعملون ما عملوا .

obeikandi.com

والإشارة بقوله : ﴿ **أولئك** ﴾ إلى المتصفين بهذه الصفات ، ومعنى ﴿ **يسارعون فى الخيرات** ﴾ : يبادرون بها . قال الفراء والزجاج : ينافسون فيها . وقيل : يسابقون ، وقرئ : «يسرعون». ﴿ **وهم لها سابقون** ﴾ اللام للتقوية ، والمعنى : هم سابقون إياها . وقيل : اللام بمعنى إلى ، كما فى قوله : ﴿ بأن ربك أوحى لها ﴾ [الزلزلة : ٥] . أى أوحى إليها، وأنشد سيبويه قول الشاعر :

تجانف عن أهل اليمامة ناقتى [1] وما قصدت من أهلها لسوائكا

أى إلى سوائكا . وقيل : المفعول محذوف ، والتقدير : وهم سابقون الناس لأجلها . ثم لما انجرّ الكلام إلى ذكر أعمال المكلفين ذكر لهما حكمين : الأوّل : قوله : ﴿ **ولا نكلف نفسا إلا وسعها** ﴾ الوسع هو : الطاقة ، وقد تقدم بيان هذا فى آخر سورة البقرة . وفى تفسير الوسع قولان : الأول : أنه الطاقة ، كما فسره بذلك أهل اللغة. والثانى : أنه دون الطاقة ، وبه قال مقاتل والضحاك والكلبى . والمعتزلة قالوا : لأن الوسع إنما سمى وسعًا ؛ لأنه يتسع على فاعله فعله ولا ضيق عليه ، فمن لم يستطع الجلوس فليومئ إيماء ، ومن لم يستطع الصوم فليفطر . وهذه الجملة مستأنفة للتحريض على ما وصف به السابقون من فعل الطاعات المؤدّى إلى نيل الكرامات ببيان سهولته وكونه غير خارج عن حدّ الوسع والطاقة ، وأن ذلك عادة الله سبحانه فى تكليف عباده ، وجملة : ﴿ **لدينا كتاب ينطق بالحق** ﴾ من تمام ما قبلها من نفى التكليف بما فوق الوسع . والمراد بالكتاب : صحائف الأعمال ، أى عندنا كتاب قد أثبت فيه أعمال كل واحد من المكلفين على ما هى عليه ، ومعنى ﴿ **ينطق بالحق** ﴾ : يظهر به الحق المطابق للواقع من دون زيادة ولا نقص ، ومثله قوله سبحانه : ﴿ وهذا كتابنا ينطق عليكم بالحق إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون ﴾ [الجاثية : ٢٩] وفى هذا تهديد للعصاة وتأنيس للمطيعين من الحيف والظلم . وقيل: المراد بالكتاب : اللوح المحفوظ ، فإنه قد كتب فيه كل شىء . وقيل : المراد بالكتاب : القرآن ، والأول أولى . وفى هذه الآية تشبيه للكتاب بمن يصدر عنه البيان بالنطق بلسانه ، فإن الكتاب يعرب عما فيه كما يعرب الناطق المحق، وقوله : ﴿ **بالحق** ﴾ يتعلق بـ ﴿ **ينطق** ﴾ أو بمحذوف هو حال من فاعله ، أى ينطق ملتبسًا بالحق ، وجملة : ﴿ **وهم لا يظلمون** ﴾ مبينة لما قبلها من تفضله وعدله فى جزاء عباده ، أى لا يظلمون بنقص ثواب أوبزيادة عقاب ، ومثله قوله سبحانه : ﴿ ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك أحدا ﴾ [الكهف : ٤٩] .

ثم أضرب سبحانه عن هذا فقال : ﴿ **بل قلوبهم فى غمرة من هذا** ﴾ والضمير للكفار ، أى بل قلوب الكفار فى غمرة غامرة لها عن هذا الكتاب الذى ينطق بالحق ، أو عن الأمر الذى عايه

---

(١) فى المطبوعة : « نجانف عن أهل اليمامة يافتى » والصحيح ما أثبتناه من المخطوطة .

المؤمنون ، يقال : غمره الماء : إذا غطاه ، ونهر غمر : يغطى من دخله ، والمراد بها هنا: الغطاء والعمه أو الحيرة والعمى ، وقد تقدّم الكلام على الغمرة قريبًا ﴿ **ولهم أعمال من دون ذلك** ﴾ قال قتادة ومجاهد : أى لهم خطايا لابدّ أن يعملوها من دون الحق . وقال الحسن وابن زيد : المعنى: ولهم أعمال رديئة لم يعملوها من دون ما هم عليه لابدّ أن يعملوها فيدخلون بها النار ، فالإشارة بقوله : ﴿**ذلك** ﴾ إما إلى أعمال المؤمنين ، أو إلى أعمال الكفار ، أى لهم أعمال من دون أعمال المؤمنين التى ذكرها الله ، أومن دون أعمال الكفار التى تقدّم ذكرها من كون قلوبهم فى غفلة عظيمة مما ذكر ، وهى فنون كفرهم ومعاصيهم التى من جملتها ما سيأتى من طعنهم فى القرآن . قال الواحدى : إجماع المفسرين وأصحاب المعانى على أن هذا إخبار عما سيعملونها من أعمالهم الخبيثة التى كتبت عليهم لابدّ لهم أن يعملوها ، وجملة : ﴿ **هم لها عاملون** ﴾ مقرّرة لما قبلها ، أى واجب عليهم أن يعملوها فيدخلوا بها النار لما سبق لهم من الشقاوة لامحيص لهم عن ذلك .

ثم رجع سبحانه إلى وصف الكفار فقال :﴿ **حتى إذا أخذنا مترفيهم بالعذاب** ﴾ حتى هذه هى التى يبتدئ بعدها الكلام ،والكلام هو الجملة الشرطية المذكورة ،وهذه الجملة مبينة لما قبلها، والضمير فى : ﴿ **مترفيهم** ﴾ راجع إلى من تقدّم ذكره من الكفار . والمراد بالمترفين : المتنعمين منهم ، وهم الذين أمدّهم الله بما تقدّم ذكره من المال والبنين ، أوالمراد بهم الرؤساء منهم . والمراد بالعذاب هو : عذابهم بالسيف يوم بدر ، أو بالجوع بدعاء النبىّ ﷺ عليهم حيث قال: «اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسنى يوسف » [(١)] . وقيل : المراد بالعذاب : عذاب الآخرة، ورجح هذا بأن مايقع منهم من الجؤار إنما يكون عند عذاب الآخرة ؛ لأنه الاستغاثة بالله ولم يقع منهم ذلك يوم بدر ولا فى سنى الجوع . ويجاب عنه بأن الجؤار فى اللغة : الصراخ والصياح . قال الجوهرى : الجؤار مثل الخوار . يقال : جأر الثور يجأر، أى صاح ، وقد وقع منهم ومن أهلهم وأولادهم عندما عذبوا بالسيف يوم بدر ، وبالجوع فى سنى الجوع، وليس الجؤار ها هنا مقيد بالجؤار الذى هو التضرّع بالدعاء حتى يتم ما ذكره ذلك القائل، وجملة : ﴿ **إذا هم يجأرون** ﴾ جواب الشرط ، وإذا هى الفجائية، والمعنى : حتى إذا أخذنا مترفيهم بالعذاب فاجؤوا بالصراخ .

ثم أخبر سبحانه أنه يقال لهم حينئذ على جهة التبكيت: ﴿ **لا تجأروا اليوم** ﴾ فالقول مضمر، والجملة مسوقة لتبكيتهم وإقناطهم وقطع أطماعهم ، وخصص سبحانه المترفين مع أن العذاب لاحق بهم جميعًا واقع على مترفيهم وغير مترفيهم ؛ لبيان أنهم بعد النعمة التى كانوا فيها صاروا على حالة تخالفها وتباينها ، فانتقلوا من النعيم التامّ إلى الشقاء الخالص ، وخصّ اليوم بالذكر للتهويل ، وجملة : ﴿ **إنكم منا لا تنصرون** ﴾ تعليل للنهى عن الجؤار ، والمعنى : إنكم من

---

(١) البخارى فى الأنبياء (٣٣٨٦) عن أبى هريرة .

عذابنا لا تمنعون ولا ينفعكم جزعكم . وقيل المعنى : إنكم لا يلحقكم من جهتنا نصرة تمنعكم مما دهمكم من العذاب .

ثم عدّد سبحانه عليهم قبائحهم توبيخًا لهم فقال : ﴿ **قد كانت آياتى تتلى عليكم** ﴾ أى فى الدنيا ؛ وهى آيات القرآن ﴿ **فكنتم على أعقابكم تنكصون** ﴾ أى ترجعون وراءكم ، وأصل النكوص : أن يرجع القهقرى، ومنه قول الشاعر :

زعموا أنهم على سبل الحق وأنا نكص على الأعقاب

وهو هنا استعارة للإعراض عن الحق ، وقرأ على بن أبى طالب : « على أدباركم » بدل: ﴿ **على أعقابكم تنكصون** ﴾ بضم الكاف ، وعلى أعقابكم متعلق بـ ﴿ **تنكصون** ﴾ أو متعلق بمحذوف وقع حالا من فاعل تنكصون ﴿ **مستكبرين به** ﴾ الضمير فى : ﴿ **به** ﴾ راجع إلى البيت العتيق . وقيل : للحرم ، والذى سوغ الإضمار قبل الذكر اشتهارهم بالاستكبار به وافتخارهم بولايته والقيام به ، وكانوا يقولون : لا يظهر علينا أحد لأنا أهل الحرم وخدّامه. وإلى هذا ذهب جمهور المفسرين. وقيل : الضمير عائد إلى القرآن ، والمعنى : أن سماعه يحدث لهم كبرًا وطغيانًا فلا يؤمنون به . قال ابن عطية : وهذا قول جيد . وقال النحاس : القول الأوّل أولى وبينه بما ذكرنا . فعلى القول الأوّل يكون ﴿به﴾ متعلقًا بـ ﴿ **مستكبرين** ﴾ ، وعلى الثانى يكون متعلقًا بـ ﴿ **سامرا** ﴾ لأنهم كانوا يجتمعون حول البيت بالليل يسمرون ، وكان عامة سمرهم ذكر القرآن والطعن فيه ، والسامر كالحاضر فى الإطلاق على الجمع . قال الواحدى: السامر : الجماعة يسمرون بالليل ، أى يتحدثون ،ويجوز أن يتعلق ﴿ **به** ﴾ بقوله : ﴿ **تهجرون** ﴾ والهجر بالفتح : الهذيان ، أى تهذون فى شأن القرآن ، ويجوز أن يكون من الهجر بالضم ، وهو الفحش . وقرأ ابن مسعود وابن عباس وابن عمر وأبو حيوة : « سمرا » بضم السين وفتح الميم مشدّدة، وقرأ زيد بن علىّ وأبو رجاء: « سمارا » ورويت هذه القراءة عن ابن عباس، وانتصاب ﴿ **سامرا** ﴾ على الحال ، إما من فاعل ﴿**تنكصون** ﴾ أو من الضمير فى: ﴿ **مستكبرين** ﴾ وقيل: هو مصدر جاء على لفظ الفاعل ، يقال:قوم سامر ،ومنه قول الشاعر:

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا أنيس ولم يسمر بمكة سامر

قال الراغب : ويقال : سامر وسمار، وسمر وسامرون . قرأ الجمهور:﴿ **تهجرون** ﴾ بفتح التاء المثناة من فوق وضم الجيم . وقرأ نافع وابن محيصن بضم التاء وكسر الجيم من أهجر ، أى أفحش فى منطقه. وقرأ زيد بن على وابن محيصن وأبو نهيك بضم التاء وفتح الهاء وكسر الجيم مشدّدة مضارع هجر بالتشديد. وقرأ ابن أبى عاصم كالجمهور إلا أنه بالياء التحتية، وفيه التفات.

وقد أخرج الفريابى وأحمد وعبد بن حميد والترمذى وابن ماجة ، وابن أبى الدنيا فى نعت الخائفين ، وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم ، والحاكم وصححه ، وابن مردويه ، والبيهقى

فى الشعب عن عائشة قالت : قلت : يارسول الله ، قول الله : ﴿ **والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة** ﴾ أهو الرجل يسرق ويزنى ويشرب الخمر وهو مع ذلك يخاف الله ؟ قال : « لا ، ولكنه الرجل يصوم ويتصدق ويصلى، وهو مع ذلك يخاف الله أن لا يتقبل منه » (١) . وأخرج ابن أبى الدنيا وابن جرير ، وابن الأنبارى فى المصاحف (٢) وابن مردويه عن أبى هريرة قال : قالت عائشة : يارسول الله ، فذكر نحوه (٣) . وأخرج عبد الرزاق عن ابن عباس فى قوله : ﴿**والذين يؤتون ما آتوا** ﴾ قال : يعطون ما أعطوا . وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم عنه فى قوله : ﴿ **وقلوبهم وجلة** ﴾ قال : يعملون خائفين . وأخرج الفريابى وابن جرير عن ابن عمر ﴿ **والذين يؤتون ما آتوا** ﴾ قال : الزكاة . وأخرج سعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن المنذر عن عائشة : ﴿ **والذين يؤتون ما آتوا** ﴾ قالت : هم الذين يخشون الله ويطيعونه . وأخرج عبد بن حميد عن ابن أبى مليكة قال : قالت عائشة : لأن تكون هذه الآية كما أقرأ أحبّ إلىّ من حمر النعم ، فقال لها ابن عباس : ما هى؟ قالت : ﴿ **الذين يؤتون ما أتوا** ﴾ وقد قدّمنا ذكر قراءتها ومعناها. وأخرج سعيد بن منصور وابن مردويه عنها عن النبىّ ﷺ أنه قرأ : ﴿ **والذين يؤتون ما أتوا** ﴾ مقصوراً من المجىء. وأخرج سعيد بن منصور وأحمد وعبد بن حميد ، والبخارى فى تاريخه ، وابن المنذر وابن أبى شيبة، وابن الأنبارى فى المصاحف ، والدارقطنى فى الأفراد ، والحاكم وصححه ، وابن مردويه عن عبيد بن عمير ؛ أنه سأل عائشة : كيف كان رسول الله ﷺ يقرأ هذه الآية: ﴿ **والذين يؤتون ما أتوا** ﴾ ؟ قالت : أيتهما أحبّ إليك . قلت: والذى نفسى بيده لأحدهما أحبّ إلىّ من الدنيا وما فيها جميعًا ، قالت : أيهما ؟ قلت: « الذين يأتون ما آتوا » فقالت: أشهد أن رسول الله ﷺ كان يقرؤها كذلك ، وكذلك أنزلت، ولكن الهجاء حرّف. وفى إسناده إسماعيل بن علىّ وهو ضعيف .

وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم عن ابن عباس فى قوله : ﴿ **أولئك يسارعون فى الخيرات وهم لها سابقون** ﴾ قال : سبقت لهم السعادة من الله . وأخرج عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبى حاتم عن ابن عباس فى قوله : ﴿ **بل قلوبهم فى غمرة من هذا** ﴾ يعنى بالغمرة الكفر والشك ﴿ **ولهم أعمال من دون ذلك** ﴾ يقول: أعمال سيئة دون الشرك ﴿ **هم لها عاملون**﴾ قال : لابدّ لهم أن يعملوها . وأخرج النسائى عنه : ﴿ **حتى إذا أخذنا مترفيهم بالعذاب** ﴾ قال: هم أهل بدر (٤) .

وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم عنه أيضًا فى قوله : ﴿ **إذا هم يجأرون** ﴾ قال:

---

(١) أحمد ١٥٩/٦ والترمذى فى التفسير (٣١٧٥) وابن ماجة فى الزهد (٤١٩٨) وابن جرير ٢٦/١٨ وصححه الحاكم ٣٩٤/٢ ووافقه الذهبى ، والبيهقى فى الشعب (٧٤٧) وإسناده منقطع ورجاله ثقات غير أحمد بن عبد الجبار العطارى فقد ضعفه الحافظ فى التقريب ١٩/١ (٧٥).

(٢) فى المخطوطة زيادة : « وابن جرير » والصحيح حذفها كما فى الدر المنثور ١١/٥ .

(٣) ابن جرير ٢٦/١٨ .

(٤) أى من كفار قريش .

يستغيثون ، وفى قوله : ﴿ **فكنتم على أعقابكم تنكصون** ﴾ قال : تدبرون ، وفى قوله : ﴿**سامرا تهجرون** ﴾ قال : تسمرون حول البيت وتقولون هجرًا . وأخرج ابن جرير وابن أبى حاتم عنه ﴿**مستكبرين به** ﴾ قال : بحرم الله أنه لا يظهر عليهم فيه أحد . وأخرج عبد بن حميد وابن أبى حاتم عنه أيضًا : ﴿ **سامرا تهجرون** ﴾ قال : كانت قريش يتحلقون حلقًا يتحدّثون حول البيت . وأخرج ابن أبى شيبة وابن المنذر وابن أبى حاتم والطبرانى ، والحاكم وصححه ، وابن مردويه عنه ، أن رسول الله ﷺ كان يقرأ : ﴿ **مستكبرين به سامرا تهجرون** ﴾ قال : كان المشركون يهجرون برسول الله ﷺ فى القول فى سمرهم(١) . وأخرج النسائى وابن أبى حاتم، والحاكم وصححه، وابن مردويه عن ابن عباس قال : إنما كره السمر حين نزلت هذه الآية : ﴿**مستكبرين به سامرا تهجرون** ﴾(٢) .

﴿ **أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الأَوَّلِينَ (٦٨) أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ (٦٩) أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُم بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ (٧٠) وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ (٧١) أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (٧٢) وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٧٣) وَإِنَّ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَاكِبُونَ (٧٤) وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّوا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ (٧٥) وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ (٧٦) حَتَّىٰ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ (٧٧) وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ (٧٨) وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (٧٩) وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلا تَعْقِلُونَ (٨٠) بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الأَوَّلُونَ (٨١) قَالُوا أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ (٨٢) لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ (٨٣)** ﴾ .

قوله : ﴿ **أفلم يدبروا القول** ﴾ بين سبحانه أن سبب إقدامهم على الكفر هو أحد هذه الأمور الأربعة : الأول : عدم التدبر فى القرآن ، فإنهم لو تدبروا معانيه لظهر صدقه وآمنوا به وبما فيه ، والهمزة للإنكار والفاء للعطف على مقدّر ، أى فعلوا ما فعلوا فلم يتدبروا ، والمراد بالقول : القرآن ، ومثله : ﴿ أفلا يتدبرون القرآن ﴾ [النساء: ٨٢، محمد : ٢٤] . والثانى:

---

(١) الطبرانى (١١٠٨٩) وقال الهيثمى فى المجمع ٧/ ٧٦: « فيه يحيى بن سلمة بن كهيل وهو ضعيف وقد ذكره ابن حبان فى الثقات ، وقال فى رواية ابنه إبراهيم عنه مناكير . قلت : وهذا منها ».

(٢) النسائى فى التفسير ٣٧١ وإسناده حسن ، وصححه الحاكم ٢/ ٣٩٤ ووافقه الذهبى .

قوله : ﴿ **أم جاءهم ما لم يأت آباءهم الأولين** ﴾ أم هى المنقطعة ، أى بل جاءهم من الكتاب ما لم يأت آباءهم الأوّلين ، فكان ذلك سببًا لاستنكارهم للقرآن ، والمقصود : تقرير أنه لم يأت آباءهم الأوّلين رسول ؛ فلذلك أنكروه ، ومثله قوله : ﴿ لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم ﴾ [يس : ٦] . وقيل : إنه أتى آباءهم الأقدمين رسل أرسلهم الله إليهم ، كما هى سنة الله سبحانه فى إرسال الرسل إلى عباده ، فقد عرف هؤلاء ذلك ، فكيف كذبوا هذا القرآن؟ وقيل : المعنى : أم جاءهم من الأمن من عذاب الله ما لم يأت آباءهم الأولين كإسماعيل ومن بعده . والثالث : قوله : ﴿ **أم لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون** ﴾ وفى هذا إضراب وانتقال من التوبيخ بما تقدّم إلى التوبيخ بوجه آخر ، أى بل ألم يعرفوه بالأمانة والصدق فأنكروه، ومعلوم أنهم قد عرفوه بذلك. والرابع : قوله: ﴿ **أم يقولون به جنة** ﴾ وهذا أيضًا انتقال من توبيخ إلى توبيخ ، أى بل أتقولون به جنة ، أى جنون، مع أنهم قد علموا أنه أرجح الناس عقلاً ، ولكنه جاء بما يخالف هواهم فدفعوه وجحدوه تعصبًا وحمية . ثم أضرب سبحانه عن ذلك كله فقال : ﴿ **بل جاءهم بالحق** ﴾ أى ليس الأمر كما زعموا فى حق القرآن والرسول ، بل جاءهم ملتبسًا بالحق . والحق هو : الدين القويم : ﴿ **وأكثرهم للحق كارهون** ﴾ لما جبلوا عليه من التعصب ، والانحراف عن الصواب ، والبعد عن الحق ، فلذلك كرهوا هذا الحق الواضح الظاهر ، وظاهر النظم أن أقلهم كانوا لا يكرهون الحق ، ولكنهم لم يظهروا الإيمان خوفًا من الكارهين له .

وجملة : ﴿ **ولو اتبع الحق أهواءهم** ﴾ مستأنفة مسوقة لبيان أنه لوجاء الحق على ما يهوونه ويريدونه لكان ذلك مستلزمًا للفساد العظيم ، وخروج نظام العالم عن الصلاح بالكلية ، وهو معنى قوله : ﴿ **لفسدت السموات والأرض ومن فيهن** ﴾ قال أبو صالح وابن جريج ومقاتل والسدّى : الحق : هو الله ، والمعنى : لو جعل مع نفسه كما يحبون شريكا لفسدت السموات والأرض . وقال الفراء والزجاج : يجوز أن يكون المراد بالحق : القرآن ، أى لو نزل القرآن بما يحبون من الشرك لفسد نظام العالم . وقيل : المعنى : ولو كان الحق ما يقولون من اتحاد الآلهة مع الله لاختلفت الآلهة ، ومثل ذلك قوله: ﴿ لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا ﴾ [الأنبياء : ٢٢] . وقد ذهب إلى القول الأوّل الأكثرون ، ولكنه يرد عليه أن المراد بالحق هنا هو : الحق المذكور قبله فى قوله : ﴿ **بل جاءهم بالحق** ﴾ ولا يصح أن يكون المراد به هنالك الله سبحانه ، فالأولى تفسير الحق هنا وهناك :بالصدق الصحيح من الدين الخالص من شرع الله ، والمعنى : ولو ورد الحق متابعًا لأهوائهم موافقًا لفاسد مقاصدهم لحصل الفساد ، والمراد بقوله : ﴿ **ومن فيهن** ﴾ من فى السموات والأرض من المخلوقات . وقرأ ابن مسعود : « وما بينهما » وسبب فساد المكلفين من بنى آدم ظاهر ، وهو ذنوبهم التى من جملتها الهوى المخالف للحق ، وأما فساد ما عداهم فعلى وجه التبع ؛ لأنهم مدبرون فى الغالب بذوى العقول فلما فسدوا فسدوا .

ثم ذكر سبحانه أن نزول القرآن عليهم من جملة الحق فقال : ﴿ **بل أتيناهم بذكرهم** ﴾

والمراد بالذكر هنا : القرآن ، أى بالكتاب الذى هو فخرهم وشرفهم ، ومثله قوله : ﴿ وإنه لذكر لك ولقومك ﴾ [الزخرف : ٤٤] والمعنى : بل آتيناهم بفخرهم وشرفهم الذى كان يجب عليهم أن يقبلوه ، ويقبلوا عليه. وقال قتادة: المعنى : بذكرهم الذى ذكر فيه ثوابهم وعقابهم . وقيل : المعنى : بذكر ما لهم به حاجة من أمر الدين . وقرأ ابن أبى إسحاق وعيسى بن عمر: « أتيتهم » بتاء التكلم. وقرأ أبو حيوة والجحدرى : « أتيتهم » بتاء الخطاب ، أى أتيتهم يامحمد . وقرأ عيسى بن عمر : « بذكراهم » . وقرأ قتادة : « نذكرهم » بالنون والتشديد من التذكير ، وتكون الجملة على هذه القراءة فى محل نصب على الحال . وقيل : الذكر هو : الوعظ والتحذير ﴿ **فهم عن ذكرهم معرضون** ﴾ أى هم بما فعلوا من الاستكبار والنكوص عن هذا الذكر المختص بهم معرضون لا يلتفتون إليه بحال من الأحوال ، وفى هذا التركيب ما يدل على أن إعراضهم مختص بذلك لا يتجاوزه إلى غيره.

ثم بين سبحانه أن دعوة نبيه ﷺ ليست مشبوهة بأطماع الدنيا فقال : ﴿ **أم تسألهم خرجا**﴾ و« أم » هى المنقطعة ، والمعنى : أم يزعمون أنك تسألهم خرجا تأخذه على الرسالة ، والخرج: الأجر والجعل ، فتركوا الإيمان بك وبما جئت به لأجل ذلك ، مع أنهم يعلمون أنك لم تسألهم ذلك ولا طلبته منهم ﴿ **فخراج ربك خير** ﴾ أى فرزق ربك الذى يرزقك فى الدنيا ، وأجره الذى يعطيكه فى الآخرة خير لك مما ذكر . قرأ حمزة والكسائى والأعمش ويحيى بن وثاب : « أم تسألهم خراجا » ، وقرأ الباقون : ﴿ **خرجا** ﴾ وكلهم قرؤوا :﴿ **فخراج** ﴾ إلا ابن عامر وأبا حيوة فإنهما قرآ : « فخرج » بغير ألف. والخرج : هو الذى يكون مقابلا للدخل، يقال لكل ما تخرجه إلى غيرك : خرجا ، والخراج غالب فى الضريبة على الأرض. قال المبرد : الخرج : المصدر ، والخراج : الاسم ، قال النضر بن شميل : سألت أبا عمرو بن العلاء عن الفرق بين الخرج والخراج فقال : الخراج ما لزمك ، والخرج ما تبرعت به . وروى عنه أنه قال : الخرج من الرقاب ، والخراج من الأرض ﴿ **وهو خير الرازقين** ﴾ هذه الجملة مقرّرة لما قبلها من كون خراجه سبحانه خير .

ثم لما أثبت سبحانه لرسوله من الأدلة الواضحة المقتضية لقبول ما جاء به ونفى عنه أضداد ذلك قال : ﴿ **وإنك لتدعوهم إلى صراط مستقيم** ﴾ أى إلى طريق واضحة تشهد العقول بأنها مستقيمة غير معوجة ، والصراط فى اللغة : الطريق، فسمى الدين طريقًا لأنها تؤدى إليه . ثم وصفهم سبحانه بأنهم على خلاف ذلك فقال : ﴿ **وإن الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط لناكبون** ﴾ يقال : نكب عن طريق ينكب نكوبًا : إذا عدل عنه ومال إلى غيره ، والنكوب والنكب: العدول والميل ، ومنه النكباء للريح بين ريحين ، سميت بذلك؛لعدولها عن المهابّ ، و﴿ **عن الصراط** ﴾ متعلق بـ﴿ **ناكبون** ﴾ والمعنى : أن هؤلاء الموصوفين بعدم الإيمان بالآخرة عن ذلك الصراط أو جنس الصراط لعادلون عنه .

ثم بين سبحانه أنهم مصرّون على الكفر لا يرجعون عنه بحال فقال : ﴿ **ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر** ﴾ أى من قحط وجدب ﴿ **للجوا فى طغيانهم** ﴾ أى لتمادوا فى طغيانهم وضلالهم ﴿ **يعمهون** ﴾ يتردّدون ويتذبذبون ويخبطون. وأصل اللجاج : التمادى فى العناد ، ومنه اللجة بالفتح لتردّد الصوت ، ولجة البحر : تردّد أمواجه ، ولجة الليل : تردّد ظلامه . وقيل : المعنى : رددناهم إلى الدنيا ولم ندخلهم النار وامتحناهم للجوا فى طغيانهم .

﴿ **ولقد أخذناهم بالعذاب** ﴾ جملة مستأنفة مسوقة لتقرير ما قبلها . والعذاب قيل : هو الجوع الذى أصابهم فى سنى القحط . وقيل : المرض . وقيل : القتل يوم بدر ، واختاره الزجاج . وقيل : الموت . وقيل : المراد من أصابه العذاب من الأمم الخالية ﴿ **فما استكانوا لربهم** ﴾ أى ما خضعوا ولا تذللوا ، بل أقاموا على ما كانوا فيه من التمرّد على الله والانهماك فى معاصيه ﴿ **وما يتضرعون** ﴾ أى وما يخشعون لله فى الشدائد عند إصابتها لهم ، ولا يدعونه لرفع ذلك ﴿ **حتى إذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد** ﴾ قيل : هو عذاب الآخرة . وقيل : قتلهم يوم بدر بالسيف. وقيل : القحط الذى أصابهم. وقيل : فتح مكة ﴿ **إذا هم فيه مبلسون** ﴾ أى متحيرون، لا يدرون ما يصنعون. والإبلاس : التحير والإياس من كل خير. وقرأ السلمى : «مبلسون» بفتح اللام من أبلسه ، أى أدخله فى الإبلاس . وقد تقدّم فى الأنعام .

﴿ **وهو الذى أنشأ لكم السمع والأبصار** ﴾ امتنّ عليهم ببعض النعم التى أعطاهم ، وهى نعمة السمع والبصر ﴿ **والأفئدة** ﴾ فصارت هذه الأمور معهم ليسمعوا المواعظ وينظروا العبر ويتفكروا بالأفئدة فلم ينتفعوا بشىء من ذلك لإصرارهم على الكفر وبعدهم عن الحق ، ولم يشكروه على ذلك ولهذا قال : ﴿ **قليلا ما تشكرون** ﴾ أى شكرًا قليلاً حقيرًا غير معتدّ به باعتبار تلك النعم الجليلة . وقيل : المعنى : أنهم لا يشكرونه البتة ، لا أن لهم شكرًا قليلاً . كما يقال لجاحد النعمة : ما أقلّ شكره ، أى لا يشكره ، ومثل هذه الآية قوله : ﴿ فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم ﴾ [الأحقاف : ٢٦] ﴿ **وهو الذى ذرأكم فى الأرض** ﴾ أى بثكم فيها كما تبث الحبوب لتنبت ، وقد تقدّم تحقيقه ﴿ **وإليه تحشرون** ﴾ أى تجمعون يوم القيامة بعد تفرّقكم .

﴿ **وهو الذى يحيى ويميت** ﴾ على جهة الانفراد والاستقلال، وفى هذا تذكير لنعمة الحياة ، وبيان الانتقال منها إلى الدار الآخرة ﴿ **وله اختلاف الليل والنهار** ﴾ قال الفراء : هو الذى جعلهما مختلفين يتعاقبان ويختلفان فى السواد والبياض. وقيل : اختلافهما : نقصان أحدهما وزيادة الآخر . وقيل : تكرّرهما يومًا بعد يوم وليلة بعد ليلة ﴿ **أفلا تعقلون** ﴾ كنه قدرته وتتفكرون فى ذلك . ثم بين سبحانه أنه لا شبهة لهم فى إنكار البعث إلا التشبث بحبل التقليد المبنىّ على مجرد الاستبعاد فقال : ﴿ **بل قالوا مثل ما قال الأولون** ﴾ أى آباؤهم والموافقون لهم فى دينهم . ثم بين ما قاله الأوّلون فقال : ﴿ **قالوا أئذا كنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون** ﴾ فهذا مجرّد استبعاد لم

يتعلقوا فيه بشيء من الشبه . ثم كملوا ذلك القول بقولهم : ﴿ **لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا من قبل** ﴾ أى وعدنا هذا البعث ووعده آباؤنا الكائنون من قبلنا فلم نصدّقه كما لم يصدقه من قبلنا ، ثم صرّحوا بالتكذيب وفرّوا إلى مجرد الزعم الباطل فقالوا : ﴿ **إن هذا إلا أساطير الأولين** ﴾ أى ما هذا إلا أكاذيب الأوّلين التى سطروها فى الكتب جمع أسطورة كأحدوثة ، والأساطير : الأباطيل والترهات والكذب .

وقد أخرج ابن أبى شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم عن أبى صالح فى قوله : ﴿ **أم لم يعرفوا رسولهم** ﴾ قال : عرفوه ولكنهم حسدوه . وفى قوله : ﴿ **ولو اتبع الحق أهواءهم** ﴾ قال : الحق : الله عزّ وجلّ . وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم عن ابن عباس فى قوله : ﴿ **بل أتيناهم بذكرهم** ﴾ قال : بينا لهم ، وأخرجوا عنه فى قوله : ﴿**عن الصراط لناكبون** ﴾ قال : عن الحقّ لحائدون . وأخرج النسائى وابن جرير وابن أبى حاتم، والطبرانى، والحاكم وصححه ، وابن مردويه ، والبيهقى فى الدلائل عن ابن عباس قال : جاء أبو سفيان إلى النبى ﷺ فقال يا محمد أنشدك الله والرحم ، فقد أكلنا العلهز ، يعنى الوبر بالدم، فأنزل الله: ﴿**ولقد أخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون**﴾[1] ، وأصل الحديث فى الصحيحين: أن رسول الله ﷺ دعا على قريش حين استعصوا فقال: « اللهم أعنى عليهم بسبع كسبع يوسف » الحديث [2] .

وأخرج ابن جرير ، وأبو نعيم فى المعرفة، والبيهقى فى الدلائل عن ابن عباس أن ابن أثال الحنفى لما أتى رسول الله ﷺ فأسلم وهو أسير فخلى سبيله لحق باليمامة ، فحال بين أهل مكة وبين الميرة من اليمامة حتى أكلت قريش العلهز ، فجاء أبو سفيان إلى رسول الله ﷺ فقال: أليس تزعم أنك بعثت رحمة للعالمين ؟ قال : « بلى » . قال : فقد قتلت الآباء بالسيف والأبناء بالجوع ، فأنزل الله : ﴿ **ولقد أخذناهم بالعذاب** ﴾ الآية [3] . وأخرج العسكرى فى المواعظ عن علىّ بن أبى طالب فى قوله : ﴿ **فما استكانوا لربهم وما يتضرعون** ﴾ قال : أى لم يتواضعوا فى الدعاء ولم يخضعوا ، ولو خضعوا للّه لاستجاب لهم . وأخرج ابن أبى شيبة وابن مردويه عن ابن عباس فى قوله : ﴿ **حتى إذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد**﴾ قال : قد مضى، كان يوم بدر .

﴿ **قُل لِّمَنِ الأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (٨٤) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلا تَذَكَّرُونَ (٨٥) قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (٨٦) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ (٨٧) قُلْ**

(١) النسائى فى التفسير (٣٧٢) وابن جرير ١٨/ ٣٤ والطبرانى (١٢٠٣٨) وصححه الحاكم ٢/ ٣٩٤ ووافقه الذهبى ، والبيهقى فى الدلائل ٤/ ٨١ .

(٢) البخارى فى التفسير (٤٦٩٣) ومسلم فى صفات المنافقين (٢٧٩٨ / ٤٠) .

(٣) ابن جرير ١٨/ ٣٤ والبيهقى فى الدلائل ٤/ ٨١ .

مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (٨٨) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ (٨٩) بَلْ أَتَيْنَاهُم بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (٩٠) مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ (٩١) عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٩٢) قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ (٩٣) رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٩٤) وَإِنَّا عَلَىٰ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَادِرُونَ (٩٥) ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ (٩٦) وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ (٩٧) وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ (٩٨) ﴾.

أمر الله سبحانه نبيه ﷺ أن يسأل الكفار عن أمور لا عذر لهم من الاعتراف فيها ، ثم أمره أن ينكر عليهم بعد الاعتراف منهم ويوبخهم فقال : ﴿ **قل لمن الأرض ومن فيها** ﴾ أى قل يامحمد لأهل مكة هذه المقالة ، والمراد بمن فى الأرض الخلق جميعًا ، وعبر عنهم بمن تغليبا للعقلاء ﴿ **إن كنتم تعلمون** ﴾ شيئا من العلم ، وجواب الشرط محذوف ، أى إن كنتم تعلمون فأخبرونى . وفى هذا تلويح بجهلهم وفرط غباوتهم . ﴿ **سيقولون لله** ﴾ أى لا بدّ لهم أن يقولوا ذلك؛ لأنه معلوم ببديهة العقل . ثم أمره سبحانه أن يقول لهم بعد اعترافهم : ﴿ **أفلا تذكرون**﴾ ترغيبًا لهم فى التدبر وإمعان النظر والفكر ، فإن ذلك مما يقودهم إلى اتباع الحق وترك الباطل ؛ لأن من قدر على ذلك ابتداء قدر على إحياء الموتى .

﴿ **قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم . سيقولون لله** ﴾ جاء سبحانه باللام نظرًا إلى معنى السؤال، فإن قولك : من ربه ، ولمن هو فى معنى واحد ، كقولك : من ربّ هذه الدار ؟ فيقال : زيد ، ويقال : لزيد . وقرأ أبو عمرو وأهل العراق : « سيقولون الله » بغير لام نظرًا إلى لفظ السؤال ، وهذه القراءة أوضح من قراءة الباقين باللام ، ولكنه يؤيد قراءة الجمهور أنها مكتوبة فى جميع المصاحف باللام بدون ألف ، وهكذا قرأ الجمهور فى قوله: ﴿**قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون . سيقولون لله** ﴾ باللام نظرا إلى معنى السؤال كما سلف . وقرأ أبو عمرو وأهل العراق بغير لام نظرًا إلى لفظ السؤال ، ومثل هذا قول الشاعر :

إذ قيل من ربّ المزالف والقرى ... وربّ الجياد الجرد قيل لخالد

أى لمن المزالف . والملكوت : الملك ، وزيادة التاء للمبالغة ، ونحو جبروت ورهبوت ، ومعنى ﴿ **وهو يجير** ﴾: أنه يغيث غيره إذا شاء ويمنعه ﴿ **ولا يجار عليه** ﴾ أى لا يمنع أحد أحدًا من عذاب الله ولا يقدر على نصره وإغاثته ، يقال : أجرت فلانًا : إذا استغاث بك فحميته ، وأجرت عليه : إذا حميت عنه ﴿ **قل فأنى تسحرون** ﴾ قال الفراء والزجاج : أى تصرفون عن

الحق وتخدعون ، والمعنى : كيف يخيل لكم الحق باطلاً والصحيح فاسدًا ؟ والخادع لهم : هو الشيطان أو الهوى أو كلاهما .

ثم بين سبحانه أنه قد بالغ فى الاحتجاج عليهم فقال : ﴿ **بل أتيناهم بالحق** ﴾ أى الأمر الواضح الذى يحقّ اتباعه ﴿ **وإنهم لكاذبون** ﴾ فيما ينسبونه إلى الله سبحانه من الولد والشريك، ثم نزّه نفسه عن نفسه فقال : ﴿ **ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله** ﴾ « من » فى الموضعين زائدة لتأكيد النفى. ثم بين سبحانه ما يستلزمه ما يدّعيه الكفار من إثبات الشريك، فقال : ﴿ **إذا لذهب كل إله بما خلق** ﴾ وفى الكلام حذف تقديره لو كان مع الله آلهة لانفرد كل إله بخلقه واستبدّ به وامتاز ملكه عن ملك الآخر ، ووقع بينهم التطالب والتحارب والتغالب ﴿ **ولعلا بعضهم على بعض** ﴾ أى غلب القوىّ على الضعيف وقهره وأخذ ملكه كعادة الملوك من بنى آدم، وحينئذ فذلك الضعيف المغلوب لا يستحق أن يكون إلهًا ، وإذا تقرّر عدم إمكان المشاركة فى ذلك، وأنه لا يقوم به إلا واحد تعين أن يكون هذا الواحد هو الله سبحانه ، وهذا الدليل كما دلّ على نفى الشريك فإنه يدلّ على نفى الولد ؛ لأن الله عزّ وجل ﴿ **عالم الغيب والشهادة** ﴾ أى هو مختصّ بعلم الغيب والشهادة ، وأما غيره فهو وإن علم الشهادة لا يعلم الغيب . قرأ نافع وأبو بكر وحمزة والكسائى : ﴿ **عالم** ﴾ بالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف ، أى هو عالم ، وقرأ الباقون بالجرّ على أنه صفة للّه أو بدل منه . وروى عن يعقوب أنه كان يخفض إذا وصل ويرفع إذا ابتدأ ﴿ **فتعالى** ﴾ الله ﴿ **عما يشركون** ﴾ معطوف على معنى ما تقدّم كأنه قال : علم الغيب فتعالى ، كقولك : زيد شجاع فعظمت منزلته ، أى شجع فعظمت ، أو يكون على إضمار القول ، أى أقول : فتعالى الله ، والمعنى : أنه سبحانه متعال عن أن يكون له شريك فى الملك .

﴿ **قل رب إما ترينى ما يوعدون** ﴾ أى إن كان ولابدّ أن ترينى ما يوعدون من العذاب المستأصل لهم . ﴿ **رب فلا تجعلنى فى القوم الظالمين** ﴾ أى قل : يارب فلا تجعلنى . قال الزجاج: أى إن أنزلت بهم النقمة يا ربّ فاجعلنى خارجًا عنهم، ومعنى كلامه هذا : أن النداء معترض ، و« ما » فى : ﴿ **إما** ﴾ زائدة ، أى قل ربّ إن ترينى ، والجواب : ﴿ **فلا تجعلنى** ﴾ وذكر الربّ مرتين مرة قبل الشرط ، ومرة بعده مبالغة فى التضرّع . وأمره الله أن يسأله أن لا يجعله فى القوم الظالمين مع أن الأنبياء لا يكونون مع القوم الظالمين أبدًا ، تعليمًا له ﷺ من ربه كيف يتواضع ، وقيل : يهضم نفسه،أو لكون شؤم الكفر قد يلحق من لم يكن من أهله ، كقوله : ﴿واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة ﴾ [الأنفال : ٢٥] .

ثم لما كان المشركون ينكرون العذاب ويسخرون من النبىّ ﷺ إذا ذكر لهم ذلك ، أكد سبحانه وقوعه بقوله: ﴿ **وإنا على أن نريك ما نعدهم لقادرون** ﴾ أى أن الله سبحانه قادر على أن يرى رسوله عذابهم ، ولكنه يؤخره لعلمه بأن بعضهم سيؤمن ، أو لكون الله سبحانه لا يعذبهم والرسول فيهم . وقيل : قد أراه الله سبحانه ذلك يوم بدر ويوم فتح مكة . ثم أمره سبحانه

بالصبر إلى أن ينقضى الأجل المضروب للعذاب فقال : ﴿ **ادفع بالتى هى أحسن السيئة** ﴾ أى ادفع بالخصلة التى هى أحسن من غيرها وهى الصفح والإعراض عما يفعله الكافر من الخصله السيئة وهى الشرك . قيل : وهذه الآية منسوخة بآية السيف . وقيل : هى محكمة فى حقّ هذه الأمة فيما بينهم ، منسوخة فى حق الكفار ﴿ **نحن أعلم بما يصفون** ﴾ أى ما يصفونك به مما أنت على خلافه ، أو بما يصفون من الشرك والتكذيب ، وفى هذا وعيد لهم بالعقوبة .

ثم علمه سبحانه ما يقوّيه على ما أرشده إليه من العفو والصفح ومقابلة السيئة بالحسنة فقال : ﴿ **وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين** ﴾ الهمزات جمع همزة ، وهى فى اللغة : الدفعة باليد أو بغيرها ، وهمزات الشياطين :نزغاتهم ووساوسهم كما قاله المفسرون ، يقال : همزه ولمزه ونخسه ، أى دفعه . وقيل : الهمز :كلام من وراء القفا ، واللمز : المواجهة، وفيه إرشاد لهذه الأمة إلى التعوّذ من الشيطان . ومن همزات الشياطين : سورات الغضب التى لا يملك الإنسان فيها نفسه . ﴿ **وأعوذ بك رب أن يحضرون** ﴾ أمره سبحانه أن يتعوّذ بالله من حضور الشياطين بعد ما أمره أن يتعوذ من همزاتهم ، والمعنى : أعوذ بك أن يكونوا معى فى حال من الأحوال ، فإنهم إذا حضروا الإنسان لم يكن لهم عمل إلا الوسوسة ، والإغراء على الشر ، والصرف عن الخير . وفى قراءة أبىّ : « وقل ربّ عائذا بك من همزات الشياطين . وعائذًا بك ربّ أن يحضرون » .

وقد أخرج ابن أبى شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم عن مجاهد فى قوله : ﴿ **قل من بيده ملكوت كل شيء** ﴾ قال : خزائن كل شيء . وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عنه: ﴿ **ادفع بالتى هى أحسن السيئة** ﴾ يقول : أعرض عن أذاهم إياك . وأخرج ابن أبى شيبة وابن المنذر وابن أبى حاتم عن عطاء : ﴿ **ادفع بالتى هى أحسن** ﴾ قال : بالسلام . وأخرج ابن أبى حاتم ، وأبو نعيم فى الحلية عن أنس فى قوله: ﴿ **ادفع بالتى هى أحسن السيئة** ﴾ قال : قول الرجل لأخيه ما ليس فيه ، فيقول : إن كنت كاذبًا فأنا أسأل الله أن يغفر لك ، وإن كنت صادقًا فأنا أسأل الله أن يغفر لى .

وأخرج ابن أبى شيبة وأحمد وأبو داود ، والترمذى وحسنه ، والنسائى ، والبيهقى فى الأسماء والصفات عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جدّه قال : كان رسول الله ﷺ يعلمنا كلمات نقولهنّ عند النوم من الفزع : « بسم الله أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وعقابه وشرّ عباده ، ومن همزات الشياطين وأن يحضرون » (١) . قال : فكان عبد الله بن عمرو يعلمها من بلغ من ولده أن يقولها عند نومه ، ومن كان منهم صغيرًا لا يعقل أن يحفظها كتبها له فعلقها فى

---

(١) أحمد ٢/١٨١ وأبو داود فى الطب (٣٨٩٣) والترمذى فى الدعوات (٣٥٢٨) وقال : « هذا حديث حسن غريب » والنسائى فى الكبرى فى عمل اليوم والليلة (١٠٦٠١) والبيهقى فى الأسماء والصفات ١/٣٠٤ ، ٣٠٥ .

obeikandl.com

عنقه . وفى إسناده محمد بن إسحاق ، وفيه مقال معروف . وأخرج أحمد عن الوليد بن الوليد أنه قال : يارسول الله ، إنى أجد وحشة ، قال : « إذا أخذت مضجعك فقل : أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وعقابه وشرّ عباده، ومن همزات الشياطين وأن يحضرون ، فإنه لا يحضرك وبالحرىّ لا يضرّك» (١) .

﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ (٩٩) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ (١٠٠) فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ (١٠١) فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٠٢) وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ (١٠٣) تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ (١٠٤) أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ (١٠٥) قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ (١٠٦) رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ (١٠٧) قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ (١٠٨) إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ (١٠٩) فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ (١١٠) إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ (١١١) قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ (١١٢) قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ الْعَادِّينَ (١١٣) قَالَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (١١٤) أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ (١١٥) فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ (١١٦) وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ (١١٧) وَقُل رَّبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ (١١٨) ﴾ .

« حتى » هى الابتدائية دخلت على الجملة الشرطية، وهى مع ذلك غاية لما قبلها متعلقة بقوله: ﴿ **لكاذبون** ﴾ وقيل : بـ ﴿ **يصفون** ﴾ . والمراد بمجىء الموت : مجىء علاماته ﴿ **قال رب ارجعون** ﴾ أى قال ذلك الواحد الذى حضره الموت تحسرًا وتحزنًا على ما فرط منه : ربّ ارجعون ، أى ردونى إلى الدنيا ، وإنما قال: ارجعون بضمير الجماعة لتعظيم المخاطب. وقيل: هو على معنى تكرير الفعل ، أى ارجعنى ارجعنى ارجعنى ، ومثله قوله : ﴿ ألقيا فى جهنم ﴾ [ق : ٢٤] قال المازنى : معناه : ألق ألق ، وهكذا قيل فى قول امرئ القيس :

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل

(١) أحمد ٦/٦ وقال الهيثمى فى المجمع ١٠/١٢٦ : «رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح إلا أن محمد بن يحيى ابن حبان لم يسمع من الوليد بن الوليد ».

ومنه قول الحجاج : « يا حرسى اضربا عنقه » .

ومنه قول الشاعر :

ولو شئت حرمت النساء سواكم

وقول الآخر :

ألا فارحمونى يا إله محمد

وقيل : إنهم لما استغاثوا بالله قال قائلهم : ربّ ثم رجع إلى مخاطبة الملائكة فقال : ﴿**ارجعون . لعلى أعمل صالحا** ﴾ أى أعمل عملاً صالحًا فى الدنيا إذا رجعت إليها من الإيمان وما يتبعه من أعمال الخير ، ولما تمنى أن يرجع ليعمل ردّ الله عليه ذلك بقوله : ﴿ **كلا إنها كلمة هو قائلها** ﴾ فجاء بكلمة الردع والزجر ، والضمير فى: ﴿ **إنها** ﴾ يرجع إلى قوله : ﴿**رب ارجعون**﴾ أى أن هذه الكلمة هو قائلها لا محالة ، وليس الأمر على ما يظنه من أنه يجاب إلى الرجوع إلى الدنيا ، أو المعنى: أنه لو أجيب إلى ذلك لما حصل منه الوفاء ، كما فى قوله: ﴿ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه ﴾ [الأنعام : ٢٨] . وقيل : إن الضمير فى : ﴿ **قائلها**﴾ يرجع إلى الله ، أى لا خلف فى خبره ، وقد أخبرنا بأنه لا يؤخر نفسًا إذا جاء أجلها ﴿ **ومن ورائهم برزخ** ﴾ أى من أمامهم وبين أيديهم. والبرزخ هو : الحاجز بين الشيئين قاله الجوهرى. واختلف فى معنى الآية ، فقال الضحاك ومجاهد وابن زيد : حاجز بين الموت والبعث . وقال الكلبى : هو الأجل ما بين النفختين ، وبينهما أربعون سنة . وقال السدّى : هو الأجل ، و﴿ **إلى يوم يبعثون** ﴾ هو يوم القيامة .

﴿ **فإذا نفخ فى الصور** ﴾ قيل : هذه هى النفخة الأولى . وقيل : الثانية ، وهذا أولى ، وهى النفخة التى تقع بين البعث والنشور . وقيل : المعنى : فإذا نفخ فى الأجساد أرواحها، على أن الصور جمع صورة، لا القرن ، ويدل على هذا قراءة ابن عباس والحسن : « الصور » بفتح الواو مع ضم الصاد جمع صورة . وقرأ أبو رزين بفتح الصاد والواو ، وقرأ الباقون بضم الصاد وسكون الواو ، وهو القرن الذى ينفخ فيه ﴿ **فلا أنساب بينهم يومئذ** ﴾ أى لا يتفاخرون بالأنساب ويذكرونها لما هم فيه من الحيرة والدهشة ﴿ **ولا يتساءلون** ﴾ أى لا يسأل بعضهم بعضًا، فإن لهم إذ ذاك شغلاً شاغلا، ومنه قوله تعالى: ﴿ يوم يفر المرء من أخيه . وأمه وأبيه. وصاحبته وبنيه ﴾ [عبس: ٣٤ ـ ٣٦] ، وقوله : ﴿ ولا يسأل حميم حميما ﴾ [المعارج: ١٠] ولا ينافى هذا ما فى الآية الأخرى من قوله : ﴿ وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون ﴾ [الطور: ٢٥] فإن ذلك محمول على اختلاف المواقف يوم القيامة ، فالإثبات باعتبار بعضها،والنفى باعتبار بعض آخر كما قررناه فى نظائر هذا ،مما أثبت تارة ونفى أخرى .

﴿ **فمن ثقلت موازينه** ﴾ أى موزوناته من أعماله الصالحة ﴿ **فأولئك هم المفلحون** ﴾ أى

الفائزون بمطالبهم المحبوبة ، الناجون من الأمور التى يخافونها ﴿ **ومن خفت موازينه** ﴾ وهى أعماله الصالحة ﴿ **فأولئك الذين خسروا أنفسهم** ﴾ أى ضيعوها وتركوا ما ينفعها ﴿ **فى جهنم خالدون** ﴾ هذا بدل من صلة الموصول ، أو خبر ثان لاسم الإشارة ، وقد تقدّم الكلام على هذه الآية مستوفى فلا نعيده . وجملة : ﴿ **تلفح وجوههم النار** ﴾ مستأنفة ، ويجوز أن تكون فى محل نصب على الحال ، أو تكون خبرًا آخر لأولئك . واللفح : الإحراق ، يقال : لفحته النار : إذا أحرقته ، ولفحته بالسيف : إذا ضربته ، وخصّ الوجوه ؛ لأنها أشرف الأعضاء ﴿**وهم فيها كالحون** ﴾ هذه الجملة فى محل نصب على الحال . الكالح : الذى قد تشمرت شفتاه وبدت أسنانه ، قاله الزجاج. ودهر كالح ، أى شديد. قال أهل اللغة : الكلوح: تكشر فى عبوس.

وجملة : ﴿ **ألم تكن آياتى تتلى عليكم** ﴾ هى على إضمار القول ، أى يقال لهم ذلك توبيخًا وتقريعًا ، أى ألم تكن آياتى تتلى عليكم فى الدنيا ﴿ **فكنتم بها تكذبون** ﴾ . وجملة : ﴿**قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا** ﴾ مستأنفة جواب سؤال مقدّر ،أى غلبت علينا لذاتنا وشهواتنا ، فسمى ذلك شقوة ؛ لأنه يؤول إلى الشقاء . قرأ أهل المدينة، وأبو عمرو وعاصم: ﴿ **شقوتنا** ﴾ وقرأ الباقون : « شقاوتنا » وهذه القراءة مروية عن ابن مسعود والحسن ﴿ **وكنا قوما ضالين** ﴾ أى بسبب ذلك فإنهم ضلوا عن الحق بتلك الشقوة . ثم طلبوا ما لا يجابون إليه فقالوا : ﴿ **ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون** ﴾ أى فإن عدنا إلى ما كنا عليه من الكفر وعدم الإيمان فإنا ظالمون لأنفسنا بالعود إلى ذلك ، فأجاب الله عليهم بقوله: ﴿ **قال اخسؤوا فيها ولا تكلمون** ﴾ أى اسكنوا فى جهنم . قال المبرد : الخسء : إبعاد بمكروه ، وقال الزجاج : تباعدوا تباعد سخط وأبعدوا بعد الكلب . فالمعنى على هذا : أبعدوا فى جهنم . كما يقال للكلب : اخسأ ، أى ابعد ، خسأت الكلب خسأ : طردته ﴿ **ولا تكلمون** ﴾ فى إخراجكم من النار ورجوعكم إلى الدنيا ، أو فى رفع العذاب عنكم . وقيل : المعنى : لا تكلمون رأسا .

ثم علل ذلك بقوله : ﴿ **إنه كان فريق من عبادى يقولون** ﴾ وهم المؤمنون . وقيل : الصحابة ، يقولون : ﴿ **ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين** ﴾ قرأ الجمهور :﴿ **إنه كان فريق** ﴾ بكسر إن استئنافًا تعليليًا ، وقرأ أبىّ بفتحها ﴿ **فاتخذتموهم سخريا** ﴾ قرأ نافع وحمزة والكسائى بضمّ السين ، وقرأ الباقون بكسرها . وفرّق بينهما أبو عمرو فجعل الكسر من جهة الهزو ، والضم من جهة السُّخْرة . قال النحاس : ولا يعرف هذا الفرق الخليل ولا سيبويه ولا الكسائى ولا الفرّاء ، وحكى الثعلبى عن الكسائى : أن الكسر بمعنى : الاستهزاء والسخرية بالقول ، والضم بمعنى : التسخير والاستعباد بالفعل ﴿ **حتى أنسوكم ذكرى** ﴾ أى اتخذتموهم سخريا إلى هذه الغاية فإنهم نسوا ذكر الله لشدّة اشتغالهم بالاستهزاء ﴿**وكنتم منهم تضحكون**﴾ فى الدنيا ، والمعنى : حتى نسيتم ذكرى باشتغالكم بالسخرية والضحك ، فنسب ذلك إلى عباده المؤمنين لكونهم السبب . وجملة : ﴿ **إنى جزيتهم اليوم بما صبروا** ﴾ مستأنفة لتقرير ما سبق ،

والباء في : ﴿ **بما صبروا** ﴾ للسببية ﴿ **أنهم هم الفائزون** ﴾ قرأ حمزة والكسائى بكسر الهمزة على الاستئناف ، وقرأ الباقون بالفتح ، أى لأنهم الفائزون ، ويجوز أن يكون منصوبًا على أنه المفعول الثانى للفعل .

﴿ **قال كم لبثتم فى الأرض عدد سنين** ﴾ القائل هو الله عزّ وجلّ ، تذكيرًا لهم كم لبثوا ، لما سألوا الرجوع إلى الدنيا بعد أن أخبرهم بأن ذلك غير كائن ،كما فى قوله: ﴿ **اخسؤوا فيها**﴾ والمراد بالأرض : هى الأرض التى طلبوا الرجوع إليها ، ويحتمل أن يكون السؤال عن جميع ما لبثوه فى الحياة وفى القبور. وقيل : هو سؤال عن مدة لبثهم فى القبور لقوله: ﴿ **فى الأرض** ﴾ ولم يقل : على الأرض، وردّ بمثل قوله تعالى: ﴿ ولا تفسدوا فى الأرض ﴾ [الأعراف: ٥٦] وانتصاب ﴿ **عدد سنين** ﴾ على التمييز ، لما فى « كم » من الإبهام ﴿ **وسنين** ﴾ بفتح النون على أنها نون الجمع ، ومن العرب من يخفضها وينونها. ﴿ **قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم** ﴾ استقصروا مدة لبثهم لما هم فيه من العذاب الشديد . وقيل: إن العذاب رفع عنهم بين النفختين ، فنسوا ما كانوا فيه من العذاب فى قبورهم . وقيل : أنساهم الله ما كانوا فيه من العذاب من النفخة الأولى إلى النفخة الثانية . ثم لما عرفوا ما أصابهم من النسيان لشدّة ما هم فيه من الهول العظيم أحالوا على غيرهم فقالوا : ﴿ **فاسأل العادين** ﴾ أى المتمكنين من معرفة العدد ، وهم الملائكة؛ لأنهم الحفظة العارفون بأعمال العباد وأعمارهم . وقيل : المعنى : فاسأل الحاسبين العارفين بالحساب من الناس . وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائى : « قل كم لبثتم فى الأرض » على الأمر، والمعنى : قل يا محمد للكفار ، أو يكون أمرًا للملك بسؤالهم ، أو التقدير : قولوا كم لبثتم ، فأخرج الكلام مخرج الأمر للواحد ، والمراد : الجماعة . وقرأ الباقون: ﴿ **قال كم لبثتم** ﴾ على أن القائل هو الله عزّ وجلّ أوالملك.

﴿ **قال إن لبثتم إلا قليلا** ﴾ قرأ حمزة والكسائى : « قل إن لبثتم » كما فى الآية الأولى ، وقرأ الباقون : «قال» على الخبر ، وقد تقدّم توجيه القراءتين ، أى ما لبثتم فى الأرض إلا لبثًا قليلا ﴿ **لو أنكم كنتم تعلمون** ﴾ شيئًا من العلم ، والجواب محذوف ، أى لو كنتم تعلمون لعلمتم اليوم قلة لبثكم فى الأرض أو فى القبور أو فيهما ، فكل ذلك قليل بالنسبة إلى لبثهم . ثم زاد سبحانه فى توبيخهم فقال : ﴿ **أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا** ﴾ الهمزة للتوبيخ والتقرير ، والفاء للعطف على مقدّر كما تقدّم بيانه فى مواضع ، أى ألم تعلموا شيئًا فحسبتم ، وانتصاب ﴿**عبثا** ﴾ على الحال، أى عابثين ، أو على العلة ، أى للعبث . قال بالأوّل سيبويه وقطرب ، وبالثانى أبو عبيدة ، وقال أيضًا : يجوز أن يكون منتصبًا على المصدرية ، وجملة : ﴿ **وأنكم إلينا لا ترجعون** ﴾ معطوفة على ﴿ **أنما خلقناكم عبثا** ﴾ والعبث فى اللغة : اللعب ، يقال: عبث يعبث عبثًا فهو عابث ، أى لاعب ، وأصله من قولهم : عبثت الأقط ، أى خلطته، والمعنى:

أفحسبتم أن خلقناكم [١] للإهمال كما خلقت البهائم ولا ثواب ولا عقاب ، وأنكم إلينا لا ترجعون بالبعث والنشور فنجازيكم بأعمالكم . قرأ حمزة والكسائى : « ترجعون » بفتح الفوقية وكسرالجيم مبنيًا للفاعل ، وقرأ الباقون على البناء للمفعول . وقيل : إنه يجوز عطف ﴿**وأنكم إلينا لا ترجعون**﴾ على ﴿ **عبثا** ﴾ على معنى : إنما خلقناكم للعبث ولعدم الرجوع .

ثم نزّه سبحانه نفسه فقال: ﴿**فتعالى الله**﴾ أى تنزّه عن الأولاد والشركاء أو عن أن يخلق شيئًا عبثًا، أوعن جميع ذلك، وهو ﴿**الملك**﴾ الذى يحق له الملك على الإطلاق ﴿**الحق**﴾ فى جميع أفعاله وأقواله ﴿ **لا إله إلا هو رب العرش الكريم** ﴾ فكيف لا يكون إلها وربًا ، لما هو دون العرش الكريم من المخلوقات ؟ ووصف العرش بالكريم لنزول الرحمة والخير منه ، أو باعتبار من استوى عليه ، كما يقال : بيت كريم : إذا كان ساكنوه كرامًا . قرأ أبو جعفر وابن محيصن وإسماعيل وأبان بن تغلب: « الكريم » بالرفع على أنه نعت لربّ ، وقرأ الباقون بالجرّ على أنه نعت للعرش .

ثم زيف ما عليه أهل الشرك توبيخًا لهم وتقريعًا فقال: ﴿**ومن يدع مع الله إلها آخر**﴾ يعبده مع الله أو يعبده وحده ، وجملة : ﴿ **لا برهان له به** ﴾ فى محل نصب صفة لقوله : ﴿ **إلها** ﴾ وهى صفة لازمة جيء بها للتأكيد ، كقوله : ﴿ يطير بجناحيه ﴾ [الأنعام : ٣٨] . والبرهان: الحجة الواضحة والدليل الواضح ، وجواب الشرط قوله : ﴿ **فإنما حسابه عند ربه** ﴾ . وجملة : ﴿**لا برهان له به** ﴾ معترضة بين الشرط والجزاء ، كقولك : من أحسن إلى زيد لا أحقّ منه بالإحسان، فالله مثيبه . وقيل : إن جواب الشرط قوله : لا برهان له به على حذف فاء الجزاء ، كقول الشاعر :

من يفعل الحسنات الله يشكرها

﴿ **إنه لا يفلح الكافرون** ﴾ قرأ الحسن وقتادة بفتح « أن » على التعليل ، وقرأ الباقون بالكسر على الاستئناف، وقرأ الحسن : « لا يفلح » بفتح الياء واللام مضارع فلح بمعنى أفلح . ثم ختم هذه السورة بتعليم رسوله ﷺ أن يدعوه بالمغفرة والرحمة فقال : ﴿ **وقل رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين** ﴾ أمره سبحانه بالاستغفار لتقتدى به أمته . وقيل : أمره بالاستغفار لأمته . وقد تقدّم بيان كونه أرحم الرّاحمين ، ووجه اتصال هذا بما قبله أنه سبحانه لما شرح أحوال الكفار أمر بالانقطاع إليه والالتجاء إلى غفرانه ورحمته .

وقد أخرج ابن أبى الدنيا فى ذكر الموت وابن أبى حاتم عن أبى هريرة قال : إذا أدخل الكافر فى قبره فيرى مقعده من النار ﴿ **قال رب ارجعون** ﴾ أتوب أعمل صالحًا ، فيقال له : قد عمرت ما كنت معمرًا ، فيضيق عليه قبره ، فهو كالمنهوش ينازع ويفزع تهوى إليه حيات الأرض وعقاربها. وأخرج ابن جرير وابن المنذر عن ابن جريج قال: زعموا أن النبى ﷺ قال لعائشة:

---

(١) فى المخطوطة : « خلقنا لكم » والصواب ما أثبتناه وهو ما يستقيم به المعنى .

« إن المؤمن إذا عاين الملائكة قالوا : نرجعك إلى الدنيا ، فيقول : إلى دار الهموم والأحزان ، بل قدما إلى الله ؛ وأما الكافر فيقولون له : نرجعك ، فيقول : ﴿ **رب ارجعون . لعلى أعمل صالحا فيما تركت** ﴾ »[١] هو مرسل . وأخرج الديلمى عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا حضر الإنسان الوفاة يجمع له كل شىء يمنعه عن الحقّ فيجعل بين عينيه ، فعند ذلك يقول : ﴿ **رب ارجعون .لعلى أعمل صالحا فيما تركت** ﴾ » . وأخرج البيهقى فى الأسماء والصفات من طريق عكرمة عن ابن عباس فى قوله: ﴿ **أعمل صالحا** ﴾ قال : أقول : لا إله إلا الله . وأخرج ابن أبى حاتم عن عائشة قالت : ويل لأهل المعاصى من أهل القبور ، يدخل عليهم فى قبورهم حيات سود ، حية عند رأسه وحية عند رجليه، يقرصانه حتى تلتقيا فى وسطه، فذلك العذاب فى البرزخ الذى قال الله : ﴿ **ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون** ﴾ .

وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم عن ابن عباس فى قوله : ﴿ **فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون** ﴾ قال : حين نفخ فى الصور ، فلا يبقى حىّ إلا الله . وأخرج سعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبى حاتم عنه، أنه سئل عن قوله : ﴿ **فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون** ﴾ وقوله : ﴿ **وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون** ﴾ فقال : إنها مواقف ، فأما الموقف الذى لا أنساب بينهم ولا يتساءلون عند الصعقة الأولى ، لا أنساب بينهم فيها إذا صعقوا ، فإذا كانت النفخة الآخرة فإذا هم قيام يتساءلون . وأخرج ابن جرير ، والحاكم وصححه عنه أيضًا ، أنه سئل عن الآيتين فقال : أما قوله : ﴿ **ولا يتساءلون** ﴾ فهذا فى النفخة الأولى حين لا يبقى على الأرض شىء ، وأما قوله :﴿ **فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون** ﴾ فإنهم لما دخلوا الجنة أقبل بعضهم على بعض يتساءلون. وأخرج ابن المبارك فى الزهد ،وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم ، وأبو نعيم فى الحلية وابن عساكر عن ابن مسعود قال : إذا كان يوم القيامة جمع الله الأوّلين والآخرين. وفى لفظ : يؤخذ بيد العبد أو الأمة يوم القيامة على رؤوس الأوّلين والآخرين ، ثم ينادى منادٍ : ألا إن هذا فلان بن فلان ، فمن كان له حق قبله فليأت إلى حقه . وفى لفظ : من كان له مظلمة فليجىء فليأخذ حقه ، فيفرح والله المرء أن يكون له الحق على والده أو ولده أو زوجته وإن كان صغيرًا ،ومصداق ذلك فى كتاب الله : ﴿**فإذا نفخ فى الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون** ﴾ .

وأخرج أحمد والطبرانى والحاكم ، والبيهقى فى سننه عن المِسْور بن مخرمة قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الأنسابِ تنقطع يوم القيامة غير نسبى وسببى وصهرى »[٢] . وأخرج البزار والطبرانى وأبونعيم والحاكم ، والضياء فى المختارة عن عمر بن الخطاب : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « كل سبب ونسب منقطع يوم القيامة إلا سببى ونسبى »[٣]. وأخرج ابن

---

(١) ابن جرير ١٨/ ٤٠. وفيه : « بل قدمانى إلى الله » .
(٢) أحمد ٤/ ٣٢٣ والطبرانى ٢٠/ ٢٦ (٣٠) وصححه الحاكم ٣/ ١٥٨ ووافقه الذهبى ، والبيهقى ٧/ ٦٤ .
(٣) الطبرانى (٢٦٣٤ ، ٢٦٣٥ ، ٢٦٦٣) ، وصححه الحاكم ٣/ ١٤٢ وقال الذهبى : « منقطع » .

عساكر عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : « كل نسب وصهر ينقطع يوم القيامة إلا نسبى وصهرى » . وأخرج أحمد عن أبى سعيد الخدرى قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول على المنبر : « ما بال رجال يقولون : إن رحم رسول الله ﷺ لا ينفع قومه ، بلى والله إن رحمى موصولة فى الدنيا والآخرة ، وإنى أيها الناس فرط لكم » (١) .

وأخرج ابن جرير عن ابن عباس : ﴿ **تلفح وجوههم النار** ﴾ قال : تنفح . وأخرج ابن مردويه ، والضياء فى صفة النار عن أبى الدرداء قال : قال رسول الله ﷺ فى قوله : ﴿ **تلفح وجوههم النار** ﴾ قال : « تلفحهم لفحة فتسيل لحومهم على أعقابهم » . وأخرج أبو نعيم فى الحلية عن ابن مسعود فى الآية قال : لفحتهم لفحة فما أبقت لحما على عظم إلا ألقته على أعقابهم. وأخرج أحمد وعبد بن حميد ، والترمذى وصححه، وابن أبى الدنيا فى صفة النار ، وأبو يعلى وابن المنذر وابن أبى حاتم ، والحاكم وصححه ، وأبو نعيم فى الحلية وابن مردويه فى قوله : ﴿ **وهم فيها كالحون** ﴾ قال: تشويه النار فتقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه ، وتسترخى شفته السفلى حتى تضرب سرته (٢) . وأخرج عبد الرزاق والفريابى وابن أبى شيبة وهناد وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم والطبرانى ، والحاكم وصححه عن ابن مسعود فى الآية قال : كلوح الرأس النضيج بدت أسنانهم وتقلصت شفاههم . وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم عن ابن عباس : ﴿ **كالحون** ﴾ قال : عابسون . وقد ورد فى صفة أهل النار وما يقولونه وما يقال لهم أحاديث كثيرة معروفة .

وأخرج الحكيم الترمذى وأبو يعلى وابن المنذر وابن أبى حاتم ، وابن السنى فى عمل اليوم والليلة ، وابن مردويه ، وأبو نعيم فى الحلية عن ابن مسعود ؛ أنه قرأ فى أذن مصاب : ﴿**أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا** ﴾ حتى ختم السورة فبرئ ، فقال رسول الله ﷺ : « بماذا قرأت فى أذنه ؟ » فأخبره ، فقال رسول الله ﷺ : « والذى نفسى بيده لو أن رجلا موقنًا قرأ بها على جبل لزال » (٣) . وأخرج ابن السنى وابن منده ، وأبو نعيم فى المعرفة ، قال السيوطى : بسند حسن ، من طريق محمد بن إبراهيم التيمى عن أبيه قال : بعثنا رسول الله ﷺ فى سرية وأمرنا أن نقول إذا أمسينا وأصبحنا : ﴿ **أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لاترجعون** ﴾ فقرأناها فغنمنا وسلمنا .

---

(١) أحمد ٣/ ١٨ .

(٢) الترمذى فى التفسير (٣١٧٦) وقال : « حسن صحيح غريب » عن أبى سعيد الخدرى .

(٣) أبو يعلى (٥٠٤٥) وإسناده ضعيف لضعف ابن لهيعة ، وأبو نعيم فى الحلية ١/ ٧ .